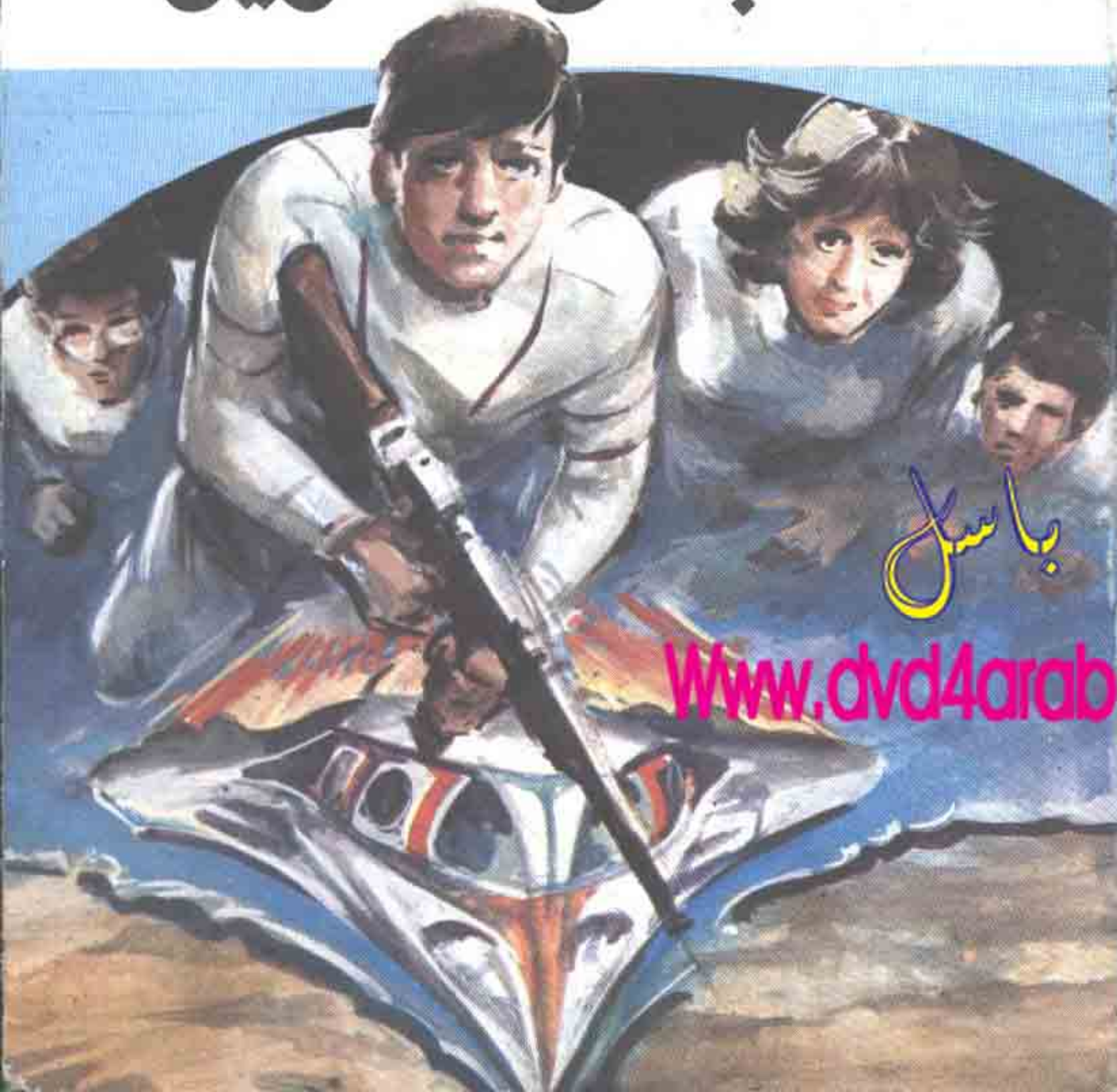




ثقب في التاريخ



بائس

www.dvd4arab.com

ملف المستقبل • ثقب في التاريخ ٤٣ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

ثقب في التاريخ

- أيمضى بنا الزمن ، أم نمضى نحن في مجرى الزمن ؟
- ما سر تلك الثغرة ، التي حدثت في أعماق التاريخ ؟
- ترى أينجح (نور) وفريقه في اجتياز الثغرة ، أم يحتوهم ثقب في التاريخ ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) في حل اللغز .

٤٣



الثمن في مصر

وما يعادل دولارا
أمريكا في سائر
الدول العربية
والعالم

العدد القادم : الخارقون

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
٩٠٨٥٥٥ - القاهرة - ٢٠٠٥

١ - سرعة الضوء ..

وقف الرائد (نور الدين) ثابتًا ، يرقب باب حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وهو ينفرج في بطاء وهدوء ، كاشفًا مكتب القائد الأعلى بأناقته ، والآلات التكنولوجية العديدة التي تملأ جوانبه ، ثم تقدم إلى حجرة القائد الأعلى بخطوات قوية رصينة ، حتى توقف أمام مكتب القائد البلورى الأزرق ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول :

— الرائد (نور الدين محمود) فى خدمتك يا سيدي .

أشار إليه القائد الأعلى أن يجلس ، ومال نحوه قائلاً :

— كيف حال فريقك أيها الرائد ؟

أجابته (نور) :

— فى خير حال يا سيدي ، ولكننا ما زلنا لا نذكر شيئاً

عن أحداث مغامرتنا السابقة (*) .

(*) راجع قصة (الأرض الثانية) .. المغامرة رقم (٤٢) .



سلوى



نور الدين



محمود



رمزى

هز القائد الأعلى رأسه ، وقال :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم سر ذلك أيها

الرائد ، ويعلم متى تستردون ذاكرتكم .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد في جدية :

— المهم أنى أذخر لكم مهمة جديدة .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— الفريق كله في خدمة المختبرات العلمية يا سيدي .

أوما القائد الأعلى برأسه ، وكأنه يؤمن على قول (نور) ، ثم

قال :

— لقد توصل أحد علمائنا بالمصادفة إلى نوع جديد من

الوقود ، عن طريق خلط الأحماض الأمينية بمادة

(التيفوسين) ، التي تم كشفها عام ألف وتسعمائة

وتسعة وتسعين ، ويعتقد علماءنا أن هذا الوقود ، بما له

من قوة اشتعال ودفع ، يمكنه أن يطلق مقاتلة من نوع

(العاصفة ٧) بسرعة تصل إلى مائة وثمانين ألف ميل في الثانية

الواحدة .

ارتفع حاجبا (نور) في دهشة ، وهو يقول :

— ولكن يا سيدي ، هذا يقترب من سرعة الضوء

تقريباً (*)

أوما القائد الأعلى برأسه موافقاً ، وقال :

— هذا صحيح يا (نور) ، وكلانا يعلم أن أحدا لم يبلغ

هذه السرعة من قبل ، وهذا يعني أن كشف مثل هذا الوقود

الجديد ، قد يجعلنا نحتل مركز الصدارة بالنسبة للعالم كله ، وهي

ميزة لا يمكن إهمالها أو تجاهلها .

غمغم (نور) في خيرة :

— ولكن الوصول إلى سرعة الضوء أمر مستحيل ، لو أننا

اتفقنا على صحة نظرية (أينشتين) يا سيدي .. فتبعاً لمعادلاته

تزداد الكتلة مع تزايد السرعة ، حتى تصل إلى ما لانهاية ، حينما

تبلغ سرعة الجسم نفس سرعة الضوء .. وطبقاً لمعادلاته

الشهيرة : « الطاقة = الكتلة × مربع السرعة » سيتحوّل

الجسم الذي تبلغ سرعته سرعة الضوء إلى طاقة ، أو دفقة من

النور ، ويفقد خواصه المادية تماماً .

هز القائد الأعلى كتفيه ، ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

* سرعة الضوء = ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية .

— إننا لن نبلغ سرعة الضوء بالطبع .

هتف (نور) :

— ولكننا سنقترب منها جدًا يا سيدي .

ساد الصمت لحظة ، ثم نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه

البُورِي الأزرق ، ورثت على كتف (نور) ، وهو يقول :

— لقد قام علماءنا بدراسة كل الاحتمالات ، الخاصة

بانطلاق إحدى مقاتلاتنا بمثل هذه السرعة ، ولكننا نحتاج إلى

تجربة عملية ، ودراسة داخلية .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— هل لي في مزيد من الإيضاح يا سيدي ؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم قال :

— إننا نريد من فريقك أن يستقل مقاتلة من نوع (العاصفة

٧) ، والتي يتكوّن طاقمها عادة من أربعة أفراد وتطلقون

باستخدام هذا الوقود الجديد ، على أن تقوموا بدراسة كل شيء

من داخل المقاتلة ؛ لأن علماءنا يؤكدون أن القياسات داخل

المقاتلة ، ستختلف كثيرًا عن القياسات خارجها ، خاصة أنها

ستتم داخل جسم تقترب سرعته من سرعة الضوء .

عقد (نور) حاجبيه لحظة ، وهو يفكر في عمق ، ثم رفع

عينيه إلى القائد الأعلى ، وقال :

— سيكون عليّ أن أعرض الأمر على الفريق أولاً

يا سيدي ، فالمهمة بالغة الخطورة ، وعلى كل منهم أن يقرّر

بنفسه .

سأله القائد الأعلى في اهتمام :

— هل تظن أنهم قد يرفضون ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— لن يجبرهم أحد على القبول يا سيدي .. ولكن إذا

ما ارتبط الأمر — مهما كانت خطورته — بأمن مصر ، أو

تقدمها ، فأعتقد أن إجابة سؤالك ستكون النفي . لن يرفض

أحدهم المهمة أبدًا .

بدأ العد التنازلي لإطلاق المقاتلة (العاصفة ٧) في مهمتها

التجريبية ، وداخلها جلس أفراد الفريق يعدّون أجهزتهم

للعمل ، دون أن يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع الآخر ، حتى

قالت (سلوى) :

— هل يمكنك قيادة مثل هذه المقاتلة يا (نور) ؟ .. أعني

بسرعة الضوء ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

— إننى أقود هذه المقاتلات منذ زمن يا زوجتى العزيزة ،
ولكن قيادتها بمثل هذه السرعة أمرٌ مخيفٌ .

ابتسم (رمزي) ، وهو يقول :

— حذارِ يا (نور) .. فمهمتى دراسة الانفعالات

النفسية ، لمن ينطلقون بمثل هذه السرعة .

ضحك (نور) ، وهو يقول

— أرجو ألا يشير تقريرك النهائى إلى خوفى هذا يا عزيزى

(رمزي) .

رفع (محمود) عينيه عن أجهزة الرصد الإشعاعى ، وسأل

(نور) فى اهتمام :

— ما خط سيرنا بالضبط يا (نور) ؟

مطّ (نور) شفته السفلى ، وقال :

— المفروض أن ننطلق من هنا فى قاعدة (أسوان) ، وندور

حول الأرض حتى نصل مرةً أخرى إلى (سيناء) ، وطبقاً

لسرعتنا الخارقة ، لن تستغرق رحلتنا أكثر من دقائق معدودة .

هزّت (سلوى) رأسها ، وقالت :

— يدهشنى أن تصل سرعة شىء ما إلى هذا الحد .

ثم أردفت فى اهتمام :

— هل تعلمون أن نجاح مهمتنا هذه قد يغيّر وجه العلم

تماماً ، فالمسافات الشاسعة بين المجرات ستضائل بفضل سرعة

قطع السنوات الضوئية و

قاطعها (نور) فجأة :

— فليترد كل منكم خوذته يا رفاق ، فسننطلق بعد

ثانيتين .

أسرع الجميع يرتدون خوذاتهم الواقية ، وأمسك (نور)

ذراعى القيادة فى قوة ، وتعلّقت عيون الجميع ، فى قلق وترقب ،

بأرقام ساعة التوقيت ، التى تسارعت فى هبوطها نحو الصفر ، ثم

لم يلبث رقم (صفر) أن صلاً شاشة ساعة التوقيت ، وصاح

(نور) فى حماس :

— الآن يا رفاق .

وانطلقت المقاتلة (العاصفة ٧) ، وأخذت سرعتها تتزايد

بسرعة ، و (نور) يضغط زرّ السرعة فى عصا القيادة اليسرى

بكل قوته ، و (سلوى) تقرأ السرعات المتزايدة ، التى تسجلها

أجهزتها ، حتى هتفت فى انبهار :

— لقد بلغنا السُرعة المنشودة يا (نور) ، ونحن الآن نعبر

سواء المغرب .. يا إلهي ١١.. لقد اجتزنا المسافة في زمن مذهل
يا (نور) .. لقد دُرنا حول ثلاثة أرباع الكرة الأرضية .
وفجأة .. ارتجت المقاتلة في قوة ، وارتطم أفراد الفريق
بمقاعدهم بشدة ، قبل أن يهتف (محمود) في جزع :
— ماذا حدث ؟

أجابه (نور) ، وهو يعقد حاجبيه في توثر بالغ :
— لقد الفصل ذيل المقاتلة بسبب السرعة الفائقة .. إننا
نتجه إلى سيناء ، ولا يمكنني التحكم في اتجاه المقاتلة و ...
وفجأة .. صرخت (سلوى) في رعب ، وهتفت وهي
تحقق في شاشة جهازها بدهول :

— (نور) ا.. لقد تجاوزنا سرعة الضوء .
هتف الجميع في دهول :
— ماذا ؟!.. هذا مستحيل .

عادت (سلوى) تصرخ :
— اخفض السرعة يا (نور) .. اخفض السرعة قبل أن
نتحوّل إلى طاقة .

وضغط (نور) كوابح المقاتلة بكل ما يملك من سرعة
وقوة .. ويأس .. وعلى بعد مئات الأميال ، صاح رجال
المراقبة ، الذين يتابعون تجربة الإطلاق على شاشات الرادار :

— المقاتلة فقدت اتزانها .

صاح القائد الأعلى في توثر :

— يا إلهي ١١.. بمثل هذه السرعة .

وفجأة .. تألقت بقعة كبيرة على شاشة الرادار ، ثم اختفت
المقاتلة تمامًا ، فأتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يقول في لوعة
وذعر :

— ربّاه ١١ لقد تحوّل (نور) وهريقه إلى دفقة من الطاقة .



علمي .. لقد تحوّل الجميع إلى طاقة لا يمكن حصرها .. ألا لعنة
الله على هذا النوع من التقدّم العلمي .

لم يكد (نور) يضغط كوابح المقاتلة في قوة ، حتى تناقصت
سرعتها كثيرًا ، وُخِيْل لأفراد الفريق ، وهم يتطلّعون من
نوافذها ، أن الليل والنهار يتعاقبان بسرعة مذهلة ، حتى بدأ
كضوء يشتد ويخفت في تتابع منتظم سريع ، إلى أن وصلت
المقاتلة إلى سرعة عادية ، وتباعدت المسافات بين الضوء
وخفوته ، حتى ظهرت أمامهم فجأة رمال صحراء ، فصاحت
(سلوى) :

— سنرتطم بالأرض يا (نور) .

وأطلق (نور) صواريخ المقاتلة العكسية ، ليخفف من وقع
الصدمة ، ولكن هذا لم يمنع أفراد الفريق من الشعور بالارتجاج ،
حينما ارتطمت المقاتلة برمال الصحراء ، واستقرت ساكنة ..
مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يتهدّد (نور) ، قائلاً :

— أعتقد أننا قد نجونا يا رفاق .

تنفّس الجميع الصُّعداء ، وقال (رمزي) :

— لقد تصوّرت لحظة أنها نهايتنا .

٢ — البحث ..

رفع رئيس فريق البحث يده بالتحية العسكرية ، أمام القائد
الأعلى ، وقال في لهجة تيمُّ عن أسفه :

— النتائج سلبية يا سيّدي .. لا أثر للفريق أو المقاتلة .
أخفى القائد الأعلى حزنه البالغ ، وهو يسأله :

— هل فحصتم (سيناء) كلها ؟ .. لقد اختفت المقاتلة
هناك .

أوماً رئيس فريق البحث برأسه إيجابًا ، وقال :

— لقد عثرنا على ذيل المقاتلة فحسب يا سيّدي ، أما
بالنسبة للمقاتلة نفسها ، فقد فحصنا كل شبر من رمال
(سيناء) ، بالأقمار الصناعية ، والإشعاعات الباحثة ،
وكل الوسائل التقنية الحديثة ، دون أن نعثر على أدنى أثر
لها .

أغلق القائد الأعلى عينيه ، وقال في ألم :

— إذن فقدنا أفضل ضابط مخبرات ، وأفضل فريق

هفت (سلوى) :

— وأنا أيضاً .

ثم التفت إلى (محمود) ، وسأله :

— أليس كذلك يا (محمود) ؟

أدهشها أنه يحدّق عبر نافذة المقاتلة في اهتمام بالغ ، فسأله

في دهشة :

— ماذا بك يا (محمود) ؟

التفض (محمود) ، وكأنه يستيقظ من حلم عجيب ،

وعدل وضع منظاره الطيّ ، وهو يقول :

— معذرة يا (سلوى) ، ولكننى كنت أتساءل في أى جزء

من (سيناء) نحن ؟

عقد (نور) حاجيه ، وهو يعاقل الرمال الممتدة على مدى

البصر ، وقال :

— هذا صحيح يا (محمود) .. إن (سيناء) التى نعرفها

في القرن الحادى والعشرين ، من أشهر المناطق السياحية في

مصر والعالم .. ولا يخلو كيلومتر واحد منها من منتجع

سياحى ، أو فندق ضخم ، أو واحة غناء ، ولكن هذه المنطقة

تبدو خالية كالصحراء .

ثم التفت إلى (سلوى) ، وسألها في اهتمام :

— هل حدّدت الأجهزة موقعنا يا (سلوى) ؟

عقدت حاجيها ، وهى تقول :

— لست أدري يا (نور) .

ثم ضغطت أزرار الكمبيوتر الصغير ، قبل أن تهتف في

دهشة :

— لا بُدّ أن هناك خطأ ما ، فالكمبيوتر يحدّد موقعنا بخط

طول (٣٥ °) ، شرقى (جرينتش) ، وخط عرض

(٣١,٥ °) شماليّ خط الاستواء ، وهذه الإحداثيات خارج

(سيناء) .

عقد (نور) حاجيه ، وهو يقول :

— نعم يا (سلوى) .. يبدو أن المقاتلة قد سقطت بنا في

صحراء (النقب) خلف الحدود الإسرائيلية ، وقد يتسبّب هذا

في مشكلة دبلوماسية بين الدولتين .

قال (محمود) ، وهو ما زال يتطلّع خارج المقاتلة في

خيرة :

— ولكن يا (نور) .. حتى صحراء (النقب) لا تبدو

خاوية إلى هذا الحدّ .

صمت (نور) لحظة ، وهو يتأمل الصحراء الممتدة
أمامه ، ثم غمغم :

— سنحاول البحث عن سبب ذلك يا (محمود) ، ولكننا
سنفقد إصابة المقاتلة أولاً .

أزاح (نور) خصلة نافرة من شعره ، تهدلت على عينيه ،
وقال وهو يتأمل المقاتلة ذات الذيل المفقود :

— لا أعتقد أنه يمكننا إصلاحها وحدنا يرافق .. سنضطر
إلى إعلان وجودنا في صحراء (النقب) ، ونحاول البحث عن
تعليل منطقي أمام الإسرائيليين .

سأله (سلوى) في استسلام :

— هل أرسل نداء استغاثة على موجات (ألفا) ؟

قلّب (نور) كفيه ، وهو يقول مبتسمًا :

— ليس أمامنا إلا ذلك يا عزيزتي .

وقف يتأمل المقاتلة لحظة أخرى ، ثم التفت إلى (محمود) ،

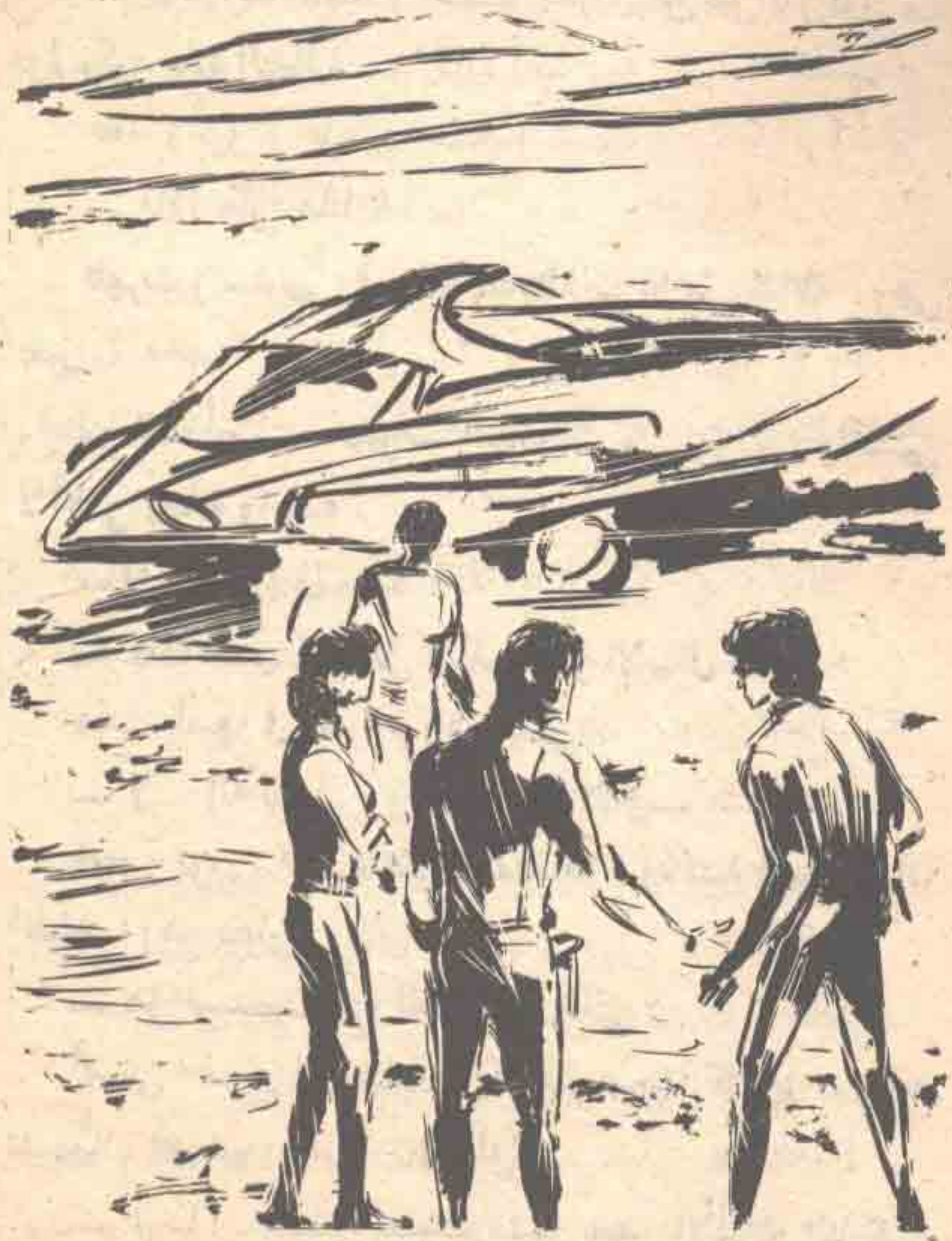
وقال :

— أما زال المكان يثير انتباهك يا (محمود) ؟

أوماً (محمود) برأسه إيجابًا ، وقال :

وقف يتأمل المقاتلة لحظة أخرى ، ثم التفت إلى (محمود) ، وقال :

— أما زال المكان يثير انتباهك يا (محمود) ؟



— لقد زرت منطقة (النقب) مرتين من قبل يا (نور) ،
ولم تكن بهذه البدائية ، والحواء أبدًا .

عقد (نور) حاجبيه مغمغماً :

— ماذا يعنى هذا ؟

ظهرت (سلوى) في هذه اللحظة من داخل المقابلة ، وهي

تقول :

— لقد أرسلت عشرات النداءات يا (نور) ، ولكننى

لا ألقى إجابة واحدة .

سألها (نور) في حدة :

— ماذا تعنين ؟ .. هل فسد جهاز الإرسال ؟

هزّت رأسها في خيرة ، وهي تقول :

— لا .. إنه يعمل ، ولكن أحداً لا يجيب رسائلى .

فتح (نور) فمه لينطق بكلمة ما ، ولكنه لم يلبث أن

أطبقه ، وهو يقول :

— هل تسمعون هذا الصوت يارفاق ؟

أصغى الجميع في اهتمام ، وبدأ لهم صوت كالأزيز ، يرتفع

تدرجياً ، فغمغم (رمزى) في قلق :

— عجباً !!.. هذا الصوت يشبه بعض الأفلام التاريخية

التي

قبل أن يتم عبارته ، تحوّل الصوت إلى دوى شديد ، ومرق
جسمان طائران من فوق رؤوسهم ، واتسعت عيونهم في
دهشة ، وهتف (محمود) :

— يا إلهى !!.. إنها طائرات مقاتلة نفّائة .

صاحت (سلوى) في ذهول :

— ولكن هذا النوع من الطائرات بطل استخدامه ، منذ

منتصف تسعينات القرن العشرين ، حينما اخترع الوقود
الأمينى .

أجابها (نور) في لهجة قلقة غامضة :

— وهذا النوع بالذات يعود إلى منتصف الستينيات من

القرن العشرين يا (سلوى) .

هتف (رمزى) في خيرة :

— يا إلهى !!.. الأمر يبدو كأنما نحضر تصوير فيلم تاريخى !

ضاقت عينا (نور) ، وهو يتأمل في الطائرتين ، اللتين

استدارتا ، وعادتا تنقضان عليهما ، وهو يغمغم :

— أو كأننا عُدننا بالزمن إلى الوراء يارفاق .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى عبرت الطائرتان فوق رؤوسهم

تماماً ، وبداخل إحداها ، قال الطيار بالعبرية ، في لهجة توحى

بخطورة الأمر ، متحدثاً في جهازه اللاسلكى :

٣ - ثقب في الزمن ..

انطلقت رصاصات الطائرتين ، حول الرفاق الأربعة ، الذين
تضاعفت دهشتهم ، وصاح (محمود) ، وهي يلقي بجسده أرضاً :
- يا إلهي !! .. إنهم يطلقون علينا النار .

أجابه (نور) في انفعال :

- نعم ، وبرصاصات حقيقية ، من ذلك النوع القديم .

ثم انتزع مسدسه الليزرى ، وهو يردف :

- أراهنكم أن أشعة مسدسى الليزرى ستثير ذهولهم .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وهي تغمغم في دهشة :

- أشعة الليزر لم تعد تدهش أحداً يا (نور) ، فكل شيء

يتحرك بالليزر في أيامنا هذه .

أجابها وهو يرقب الطائرتين ، اللتين عادتا تستديران ،

وتتجهان إليهم :

- تقصدان في الأيام التي تركناها خلفنا يا (سلوى) ،

وليس في هذه الأيام .

- هنا النقيب (إفرام يائيل) ، قائد دورية (النقب) ..
هناك جسم مجهول يستقر على رمال النقب ، وحوله أربعة
- أشخاص في ثياب عجيبة لامعة ، ننتظر الأوامر للتعامل معهم .
جاءه الرد بسرعة :

- حاول أن تمنعهم من مغادرة المكان ، حتى نرسل دورية
من الهليكوبتر لالتقاطهم .. لا بأس من إطلاق النار ، ولكن
لا تحاول إصابة الهدف .. اكتفيا بمحاصرتهم فحسب .

أجابه النقيب (إفرام) في حزم :

- علم .. سنتعامل معهم تبعاً للأوامر .

وبإشارة منه ، عادت الطائرتان تنقضان على (نور)
وزفاقه ، في حين غمغم النقيب (إفرام) في تعجب ، محدثاً
رفيقه في الطائرة الثانية :

- يا للغرابة !! إننى لم أر مثل هذه الثياب أبداً في عصرنا هذا .

أجابه زميله في لهجة مماثلة :

- ولا ذلك الجسم القابع إلى جوارهم .. لقد كنت أظن

أنا قد بلغنا قمة التطور في عامنا هذا .

ثم أردف بعد وهلة من الصمت :

- عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

سأله في دهشة ، شاركها فيها (رمزي) و (محمود) :
— ماذا تعني يا (نور) ؟

صوب (نور) مسدسه نحو الطائرتين ، وهو يقول :
— فيما بعد يا (سلوى) .. فيما بعد .

ثم أطلق أشعة مسدسه الليزري نحو إحدى الطائرتين .

كانت المفاجأة مذهلة بحق ، بالنسبة للنقيب (إفرام) ،
فقبل أن يضغط إبهامه زر إطلاق النيران ، في عصا قيادة
طائرتة ، شقَّ الهواء شعاع أزرق ، شطر جناح الطائرة شطرين ،
كسكين حاد يقطع قرصاً من الزبد الطازج ..

مالت الطائرة فجأة ، ودارت حول نفسها ، وهي تهوى من
حالق ، وتغلب النقيب (إفرام) على ذهوله بسرعة ، وضغط
زرًا في الطائرة ، دفع مقعده خارجها ، وأطلق مظلة واقية ،
جعلته يهبط في رفق ، إلى جوار مقاتلة (نور) ورفاقه ..

أما قائد الطائرة الثانية ، فقد بلغ منه الرعب والذهول
مبلغه ، فانطلق بطائرتة مبتعدًا ، وهو يقول من خلال جهازه
اللاسلكي في دُعر :

— يبدو أنهم من كوكب آخر .. لقد أسقطوا طائرة النقيب

(إفرام) بأشعة زرقاء عجيبة .. أكرّر .. إنهم من كوكب آخر .
وفي نفس اللحظة التي ابتعد فيها النقيب الثاني في دُعر ،
كان النقيب (إفرام) يحدّق بذهول في وجوه أفراد الفريق ،
ويتطلع في حذر وخوف إلى المسدس الليزري ، الذي يصوبه إليه
(نور) ، وانتفض جسده في قوة ، حينما سأله (نور) في هدوء
بالعبرية :

— من أنت ؟

عاد (إفرام) يحدّق في وجه (نور) بدهشة ، وكأنه من
العجيب أن يحدثه (نور) بلغة مفهومة ، ثم غمغم في خيرة :
— النقيب (إفرام يائيل) ، من سلاح الطيران ، التابع
لجيش الدفاع الإسرائيلي .

عاد (نور) يسأله في هدوء :

— في أي عام نحن ؟

غمغم (إفرام) في مزيد من الدهشة والخيرة :

— إننا في الأول من يونيو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة
وستين .

جاء دور أفراد الفريق لتفجّر الدهشة في وجوههم ، وهتف
(رمزي) في جدّة :

— أي خدعة حمقاء تحاول أن تخدعنا بها أيها الرجل...؟

إننا

أوقفه (نور) بإشارة من يده ، وقال بالعربية :

— مهلاً يا (رمزي) .. هذا الرجل يقول الحق .

صاح (رمزي) :

— كيف هذا يا (نور) ؟. أنت تعلم مثلنا أننا ننتهي إلى

عام ألفين وأربعة .

أجابه (نور) في هدوء :

— هذا صحيح .. ولكن هذا الرجل ينتمي إلى زمن يسبق

زمننا بسبعة وثلاثين عامًا .

تجلّى الذعر والدهشة في وجه (سلوى) ، وهي تلوح

بكفها صائحة :

— لست أصدق هذا .. لست أصدق هذا .

مطاً (نور) شفّيته ، وقال في ضيق :

— كل الظواهر تؤكد ذلك يا (سلوى) .. صحراء النقب

التي بدت لـ (محمود) بدائية ، مخالفة لما رآها عليه من قبل ..

وهذه الطائرات (الفانتوم) القديمة ، وعدم استجابة أية جهة

لنداءاتك المحمولة على جسيمات (ألفا) ، وذلك التعاقب

العجيب في الليل والنهار ، الذي شاهدناه قبل أن تهبط بنا
(العاصفة ٧) .

اتسعت عينا (محمود) في ذعر ، وهو يقول :

— هل تعني أننا قد اجتزنا حاجز الزمن إلى الوراء ؟

تنهّد (نور) في ضيق ، وقال :

— يبدو أننا أول إثبات لنظرية (أينشتاين) ، التي تعتبر الزمن

بعداً رابعاً ، مثل الطول والعرض والارتفاع .. وأن الإنسان قادر

على التحرك في الزمن ، أماماً وخلفاً ، إذا ما وجد الوسيلة

المناسبة .

عادت (سلوى) تقول في ذعر :

— لست أصدق هذا .

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

— إننا نتعايش مع أحداث زمننا ؛ لأننا نراها ونشعر بها

يا (سلوى) ، ورؤيتنا لها تعتمد على سرعة الضوء ، ويبدو أننا

حينما تجاوزنا هذه السرعة ، انطلقنا أسرع من الأحداث ،

وتوقفنا عند الماضي ، في عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

ساد الصمت المشوب بالدهشة والتوتر لحظات ، ثم غمغم

(رمزي) :

— إذن فنحن أول من يجتاز حاجز الزمن .. كم يبدو لي هذا مخيفاً ومذهلاً !!

قَلْب (نور) كَفَّيْهِ ، وقال :

— أنتم تعلمون يا رفاق أنني كنت أرفض مبدأ السفر عبر الزمن تمامًا .. ولقد تجلَّى لكم ذلك في مغامرة سابقة (*) ، ولكن الأمر الواقع يؤكد خطأ مبدئي .

هتف (محمود) :

— ولكن السفر عبر الزمن أمر خطير للغاية يا (نور) ، فلنفرض مثلاً أن أحدنا قد لقي مصرعه في هذا العصر ، فكيف سيتأثري له أن يولد فيما بعد .

هزَّ (نور) كتفیه ، وقال :

— لن يولد فيما بعد ؛ لأنه وُلِدَ فعلاً في عصر قادم .

رفع (محمود) حاجبيه في دهشة ، وقال :

— لست أستطيع هذا المنطق .

أجابهُ (نور) :

— ولكنه منطق السفر عبر الزمن .

هتفت (سلوى) :

(*) راجع قصة (زائر من المستقبل) .. المغامرة رقم (٦) .

— ولكن لو أننا حقاً عُذنا إلى عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، فسيعني هذا أن قصة اختراقنا للزمن ستكون معروفة في عام ألفين وأربعة ، ولن تكون هناك ضرورة لتجربة الوقود الجديد ، فستكون نتائجه — حينئذ — معروفة .

كاد (نور) يجادلها ، لولا أن هتف (رمزي) فجأة :

— يا إلهي !! .. هناك أربع طائرات ، من نوع الهليكوبتر ، تنقض علينا ..

رفع الجميع عيونهم إلى حيث أشار (رمزي) ، وبدأ الصراع بين الماضي والمستقبل .



٤ - الصراع العجيب ..

بدا الصراع عجيباً منذ اللحظة الأولى .

كانت الطائرات الهليوكوبتر الأربع تهاجم مقاتلة ساكنة ، وأربعة أفراد تقول المعلومات عنهم : إنهم من كوكب آخر ، في حين كان (نور) يقاتل وحده ، وباستخدام مسدسه الليزرى فحسب ..

وكان القتال يدور بين الماضي والمستقبل ..

ووقف النقيب (إفرام يائيل) يشاهد ما يحدث في ذهول .. لقد بدأت المعركة بانقضاض الهليوكوبترات الأربع ، ولكن دون أن تطلق إحداها رصاصة واحدة ، وكأنها تدرس قوة الخصم أولاً ..

ثم أطلق (نور) أشعة مسدسه ..

وسقطت إحدى الطائرات ، بعد أن شطرت أشعة (نور) مروحتها ، وتهاوت الثانية ، وهي تجرُّ خلفها خيطاً من النيران ، بعد أن اخترقت أشعة (نور) خزّان وقودها ، وابتعدت

الطائرتان الأخريان ، في محاولة لاستيعاب قوة ذلك السلاح العجيب ، قبل أن تعاود هجومها :

وفي الانقضاضة الثانية ، أطلقت الطائرتان رصاصاتهما .. انهالت الرصاصات كالطرر ، وقفز (نور) ورفاقه ، والنقيب (إفرام) يحمون بجسم مقاتلة القرن الحادى والعشرين ، وهتف (رمزى) فى سخط :
— لو أن مقاتلتنا تعمل ؛ لأسقطنا هاتين الطائرتين فى جزء من الثانية .

أجابه (نور) فى حزم :

— لن نحتاج إلى ذلك .

ثم قفز من مكانه فى جسارة ، ووقف يواجه رصاصات الهليوكوبتر ، التى تناثرت حوله كالسيل ، وأطلق أشعة مسدسه الليزرى ، لتخترق جسم الطائرة ، وتزرع مروحتها من منبتها ، وتسقطها ككتلة من الحجر ..

كان (نور) يستعد لمواجهة الهليوكوبتر الأخيرة فى بسالة نادرة ، حينما ارتفع فجأة صوت النقيب (إفرام) ، وهو يهتف فى صرامة :

— انتهى القتال أيها السادة — أيّا كنتم — لقد أصبحتم فى قبضتى .

استدار (نور) في سرعة إلى مصدر الصوت ، وارتسم
الغضب والصرامة في ملامحه .. فقد كان النقيب (إبرام) يحيط
عنق (سلوى) بذراعه اليسرى ، ويصوب إلى (نور) و (رمزي)
و (محمود) مسدسًا ضخمًا ، وهو يردف في شراسة :

— سأقتل الفتاة لو تحرك أحدكم خطوة واحدة .
غمغم (نور) في جدّة :

— أيها الوغد ..
وفي نفس اللحظة ، أطلقت الهليوكوبتر الأخيرة رصاصاتها
نحوه .

لحظة واحدة فصلت بين موت (نور) وحياته ..
لحظة انتبه فيها إلى الهليوكوبتر التي تهاجمه ، وقفز محاولاً
تفادي رصاصاتها ..

وخيّل للجميع أن (نور) قد تجاوز حاجز النيران ، وهو
ينضم إليهم ، إلى جوار جسم المقاتلة ، ولكن (سلوى)
شهقت في ذعر ولوعة ، حينما شاهدت بقعة من الدم على ذراع
(نور) ، الذي تجاهل آلامه ، وهو يقول في جدّة :

— اترك (سلوى) أيها الوغد ، وإلا ندمت أشد الندم .

٣٣

(م ٣ — ملف المسجل — ثقب في التاريخ — ٤٣)



ثم قفز من مكانه في جسارة ،

ووقف يواجه رصاصات الهليوكوبتر ..

ابتسم النقيب (إبرام) في سخرية ، وقال في جِدَّة :
— حاول أن ترفع سلاحك العجيب هذا نحوي ، ولنتر من
منّا سيندم .

بدا الموقف واضحًا لركّاب الهليوكوبتر ، فأسرعت تهبط على
مقربة من المقاتلة (العاصفة ٧) ، وقفز منها عدد من الجنود
الإسرائيليين ، صوّبوا مدافعهم الرشاشة إلى (نور) ، ورفاقه ،
وازدادت ابتسامة (إفرام) سخرية وشراسة ، وهو يقول :
— ما رأيك أيها المتحذلق ؟

خفض (نور) مسدّسه الليزري في استسلام ، ثم ضغط زرًا
صغيرًا في ساعته الذريّة ، قبل أن يقول في هدوء :
— حسنًا .. إننا نستسلم .

ثم أردف في سخرية :
— وأعتقد أن استسلامنا سيكون أسوأ بالنسبة لكم من
عودتنا .
عقد النقيب (إفرام) حاجبيه في دهشة ، ولكنه لم يفهم
عبارة (نور) أبدًا ..

كانت الهليوكوبتر الإسرائيلية تنطلق بأسراها الأربعة ، نحو
(تل أبيب) ، حينما همست (سلوى) في سخط :

— وكأننا نعيش كابوسًا مزعجًا .

غمغم (رمزي) :

— إنني أتمنى أن أغلق عينيّ وأفتحهما ، لأجد أن هذا
الحلم قد انتهى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— من المؤسف أنها حقيقة يارفاق .

غمغم (محمود) :

— بل قل من الخيف .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (رمزي) :

— لو أن هذا ليس كابوسًا ، فسيعني هذا أننا أصبحنا أسرى

التاريخ ، وأنا نعيش الآن مرحلة سبقت مولدنا .

قالت (سلوى) في صوت مرتجف :

— تُرى .. هل هناك وسيلة لعودتنا إلى عصرنا ؟

تنهّد (نور) وهو يقول :

— ربّما يا (سلوى) .. لو أننا درسنا ظروف اختراقنا لثغرة

التاريخ هذه بدقة .

أكمل (رمزي) :

— ولو أمكننا استعادة مقاتلتنا .

اختلس (نور) النظر إلى الجنديين الإسرائيليين ، اللذين
يصوّان إليهم مدفعيها الرشاشين ، ثم همس :

— بالنسبة لمقاتلتنا فلا داعي للقلق ؛ لأننى أملك فى ساعتى
الخاصة زراً يمكنه أن يغلق رتاجها الإليكترونى ، فيستحيل
دخولها دون معرفة شفرتها الخاصة .. ثم إنها مصنوعة من معدن
(التليانيوم) ، الذى لم يكشف إلا عام ألفين ، والذى لن
يمكنهم اختراقه بكل اختراعات هذا العصر .

وفجأة .. هتف (محمود) :

— هل تعلمون ما يعنيه تاريخ اليوم ؟

وانتبه إلى وجود الجنديين ، حينما جعلتهما عبارته يرفعان
مدفعيها الرشاشين فى عصية ، فعاد يهمس :

— هل تعلمون ما يعنيه موعد وصولنا إلى ثغرة التاريخ هذه ؟

نظر إليه الجميع فى تساؤل ، فأجاب فى انفعال :

— يعنى أنه بعد خمسة أيام من الآن ، وبالذات فى صباح

الخامس من يونيو ، ستعرض مصر لأكبر نكسة عسكرية فى
تاريخها .. نكسة يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين .

٥ — فى قلب إسرائيل ..

رفع وزير الدفاع الإسرائيلى حاجيه فى دهشة ، وحدّق فى
وجه الضابط (إفرام) بعينه الواحدة ، وهو يقول :

— هل تؤلف واحدة من روايات الخيال العلمى أيها
القيب ؟ .. لو أنك تفعل فأنت مغرق فى الخيال .

حركّ القيب (إفرام) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— إننى لا أجاول ذلك يا سيّدى .. لقد تصوّرت فى البداية
أنهم من كوكب آخر ، ولكن أحدهم — وأظنه قائدهم —
تحدّث إلى الآخرين بالعربية ، التى أجيدها ، بحكم مولدى فى
القاهرة ، وقال إنهم قادمون من القرن الحادى والعشرين و ..
قاطعته وزير الدفاع فى جدّة :

— هذا جنون ولا شك .. قد يمكنك إقناعى أنهم من كوكب
آخر ، ولكن قدومهم من القرن القادم يشبه الجنون .

هزّ القيب (إفرام) كتفيه ، وقال :

— أنا أيضًا لم أصدّق للوهلة الأولى يا سيّدى ، وهاجمت

الفتاة بالفعل ، ونجحت في السيطرة على الموقف ، ولكن الدماء
التي أسالتها الرصاصة ، من ذراع قائدهم ، جعلتني أميل إلى
تصديق كونهم بشرًا ، ووجود كل هذه الاختراعات المذهلة مع
بشر مثلهم ، يجعل قدومهم من المستقبل أمرًا ..

قاطعته وزير الدفاع الإسرائيلي مرة أخرى :

— كفى أيها النقيب .. هذا أمر يدفعني للجنون .

ثم التقط سماعة الهاتف ، وقال :

— (شيمون) .. اسمعني جيدًا .. بشأن أسرى النقب

الغامضين .. أريد منك أن تستجوبهم بكل الوسائل الممكنة

لتحصل على الحقيقة .

وهتف في غضب :

— الحقيقة كلها يا (شيمون) .

رفع (نور) عينيه في هدوء ، يتأمل الإسرائيلي الضخم ،

الذي يقف أمامه ، والذي سأله في شراسة وصرامة :

— مَنْ أنت .. وما جنسيتك ؟

أجابه (نور) في هدوء :

— اسمي الراحل (نور الدين محمود) ، مصري ، أعمل في

المخابرات العلمية المصرية .

ضافت عينا الإسرائيلي الضخم ، وهو يقول في حدة :

— المخابرات العلمية؟! .. هل توجد مخابرات علمية في مصر؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— متشأ في بداية التسعينات ، بعد أن تجاوز مصر الأزمة

الاقتصادية الطاحنة ، التي

وفجأة .. هوت صفة قوية على وجه (نور) ، الذي ضمّ شفثيه

في غضب ، وقال في صرامة ألقت الرعب في قلب الإسرائيلي

الضخم ، على الرغم من أنه الأكثر سيطرة على الموقف :

— ستدفع ثمن هذه الصفة غاليًا .

ابتسم الإسرائيلي الضخم في سخرية ، وقال .

— الثمن؟! .. يالك من متفائل !! لقد اعترفت تَوًّا أنك

مصري ، وهذا يعني أنك جاسوس ، خاصة بعد اعترافك

بالعمل لحساب المخابرات المصرية .

ثم مال فجأة نحو (نور) ، وقال في صرامة :

— لماذا أرسلتك المخابرات المصرية إلى هنا؟! .. وما سرّ

الثياب اللامعة العجيبة ، والجهاز الغريب الذي يقبع على أرض

النقب ؟ وكيف أمكنكم اجتياز الحدود بهذا الجهاز ، دون أن

تكشفكم أجهزة الرادار ؟

قال (نور) في صرامة :

— لن تحصل على كلمة واحدة مني .

ابتسم الإسرائيلي في سخرية ، وقال في هدوء :

— لقد سمعت هذه الكلمة عشرات المرات ، وخصوصاً من أفواه هؤلاء المخربين الفلسطينيين ، ولكن قليلاً منهم من يلتزمون بوعدهم هذا .

ثم أطلق ضحكة وضحية عجيبة ، قبل أن يستطرد :

— بعضهم يتنازل عن كلمته بعد انتزاع أظفاره ، والبعض

الآخر بعد بتر أحد أعضائه ، وبعضهم حيناً

بتر عبارته بغتة ، ثم عاد يبتسم في سخرية ، وعيناه تتألقان

في وضحية ، وهو يقول :

— الفتاة زوجتك .. أليس كذلك ؟

تطلع إليه (نور) في برود دون أن يجيب ، فعاد الإسرائيلي

يردف :

— هناك وسيلة أسهل لمعرفة نوعية تلك الثياب اللامعة ..

سنأق بزوجتك ، وننزع ثوبها و

قاطعته (نور) في غضب :

— أيها الحقير .

أطلق الإسرائيلي ضحكته الوحشية مرة أخرى ، ثم قال :

— هل رأيت كيف أنه من السهل انتزاع الاعتراف منك ؟

صمت (نور) لحظة في غضب ، ثم أحنى رأسه ، وغمغم :

— سأخبرك بكل شيء .

تألقت عينا الإسرائيلي في ظفر ، وهو يسأله في لهفة :

— ما سبب وجودكم هنا ؟

أجابه (نور) في استسلام :

— لست أدري .. هناك رسالة شفرية في ساعتى ، كان من

المفروض أن أعلم منها طبيعة مهمتنا ، بعد أن ننجح في اجتياز

الحدود .

التفت الإسرائيلي الضخم في لهفة إلى جنديين من جنود

الحراسة ، وصاح :

— أحضرا ساعتى ، وذلك السلاح العجيب .

ثم التفت إلى (نور) ، وهو يستطرد :

— سيخبرنا كيف نستخدمه .

لم تمض لحظات ، حتى عاد الجنديان بالساعة الذرية ،

ومسدس الليزر .. فناول الإسرائيلي الضخم (نور) ساعتى ،

وقال في صرامة :



— هيا .. استخرج الشفرة ، ولكن حذار .. فهذان الجنديان سيطلقان عليك النار عند أول محاولة للخداع .
رفع الجنديان فوهتى مدفعيهما نحو (نور) ، وكأنهما يؤكدان قول الإسرائيلي الضخم ، الذي مال نحو (نور) ، وهو يقول في اهتمام :

— هيا .. ابدأ العمل .
نقل (نور) بصره بين الجنديين في هدوء ، ثم ضغط بعض الأزرار في ساعته بتعاقب مدروس ، وهو يقول :
— ينبغي أولاً أن نحدد الإحداثيات ، ثم ...
أردف فجأة في حدة :
— نطلق النار .

وقبل أن تنتهى كلمته ، انطلق شعاعان من الليزر من ثقبين دقيقين في إطار الساعة ، أصاب كل منهما جندياً ، وأرداه في الحال .

كادت عينا الإسرائيلي تقفزان في محجريهما ، وهو يحدق في وجه (نور) بدهول ، في حين قفز هذا الأخير ، والتقط مسدسه الليزري ، وصوبه إلى الرجل ، وهو يقول في سخرية :

كادت عينا الإسرائيلي تقفزان في محجريهما ، وهو يحدق في وجه (نور) بدهول ، في حين قفز هذا الأخير ، والتقط مسدسه الليزري

— هل تحتاج إلى دليل جديد على قدومنا من المستقبل إليها
الوغد ؟

تطلع إليه الإسرائيلي الضخم في رعب وذهول ، ثم عاد يعقد
حاجيه الغليظين ، ويقول في جِدَّة :

— لن يمكنك أن تخدعني باختراع أجهله .

اقترب منه (نور) ، وهو يقول في سخرية :

— هل تحب أن أجبرك على الاعتراف بذلك ؟

قال الإسرائيلي في حنق :

— من السهل أن تتبجح ، وأنت تحمل سلاحًا في مواجهة

رجل أعزل .

تبادلا نظرات صارمة بعض الوقت ، ثم ألقى (نور)

مسدسه جانبًا ، وقال في هدوء :

— حسنًا .. هأنذا أعزل مثلك .

برقت عينا الإسرائيلي ، وقال في شراسة :

— لقد حفرت قبرك بيدك أيها المصري .

ثم انقضَّ بجسده الضخم ، وعضلاته المفتولة على (نور) .

* * *

٦ — الخرتيت ..

كان حجم الإسرائيلي يبلغ ضعف حجم (نور) تقريبًا ،
وكانت عضلاته المفتولة ، وصرامته ووحشيته الواضحتان ،
ومهنته تؤكد أنه يجيد فنون القتال ، ولا يتردد لحظة واحدة في
القتل .. ولكن ..

— حتى فنون القتال تتطور عبر العصور ..

ولقد كان الإسرائيلي يقاتل بأسلوب القرن العشرين ، أما

(نور) ، فقد حمل قتاله روح القرن الحادى والعشرين .

قفز العملاق الإسرائيلي نحو (نور) في وحشية ، ولكن

(نور) تفاعدى لكتمته الساحقة بقفزة رائعة إلى اليسار ، ثم

غاص إلى أسفل ، ودار على عَقْبِيَّه في سرعة عجيبة ، ثم انتصب

كالصاروخ ، وهوى بلكمة ساحقة على فكَّ الإسرائيلي ، وأعقبها

بأخرى كالصاعقة في معدته ، وثالثة كالبرق في أنفه ..

سقط الإسرائيلي أرضًا ، وتضاعفت الوحشية في ملامحه ،

وهو يمسح الدماء السائلة من أنفه ، ويقول في شراسة :

— سأحطم عنقك أيها المصري .

ثم قفز مرة أخرى نحو (نور) ، الذي استقبله بلكمة كالقنبلة ، هوت على فك الإسرائيلي فحطمته ، وألقت به مرة ثانية إلى ركن الحجر ، وقال (نور) في صرامة :

— لقد وعدتك أن تدفع ثمن صفعتك .

أمسك الإسرائيلي فكّه في ألم ، وزاغت عيناه ذُعراً ، وهو يتساءل في أعماق نفسه : كيف أمكن لـ (نور) أن يهزمه ، وهو يبلغ نصف حجمه ؟

وفجأة .. لمح الإسرائيلي المسدس الليزري ، فاختطفه في سرعة ، وصوّبه إلى (نور) ، وهو يهتف في غضب :

— سأقتلك أيها المصري .. سأقتلك .

لم يبد على وجه (نور) أى أثر للخوف أو القلق ، أو حتى محاولة الفرار من أمام الأشعة ، وإنما ابتسم في هدوء ، وقال وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

— لن يمكنك استخدامه أيها الوجود ، فهذا النوع من الأسلحة مزوّد بما يسمى (الخلية الشخصية) ، وهو لا يستجيب إلا لأصابع صاحبه فقط ، وهذه الخلية لم تبتدع بعد في زمنك هذا .

اتسعت عينا الإسرائيلي ، وحاول أن يضغط زناد المسدس الليزري ، ولكنه لم يكن هناك زناد ، وإنما دائرة مُصنّمة صغيرة ، لم يدر الإسرائيلي كيف يتعامل معها ، فقذف المسدس نحو (نور) في غضب ، وهو يصيح :

— أيها الشيطان .

ثم استجمع قواه ، وقفز مرة أخرى نحو (نور) ، وهو يصرخ بصوت جهورى :

— إلى يارجال .. الأسير يحاول الهرب .

كان ينقض على (نور) كخريت هائج وحشي ، ولكن (نور) تفادى لكمته في مهارة ، ولكمه في أنفه ، وفكّه المخطّمة ، وعنقه .. ثلاث لكمات سريعة قوية حاسمة ، جحظت بعدها عينا الإسرائيلي الضخم ، وسقط كجلمود من الصخر .. كان (نور) يتطلّع إلى الإسرائيلي الضخم ، الذي فقد الوعي ، حينما ارتفع صوت صارم يقول :

— اثبت مكانك أيها الأسير ، وإلا انطلقت عشرة مدافع رشاشة في جسدك .

استدار (نور) في هدوء ، يتطلّع إلى الرجال العشرة ،

الذين يصوبون إليه مدافعهم الرشاشة ، وأمسك معصمه الأيسر
بكفه اليمنى ، وهو يقول :

— لا بأس أيها الأوغاد ، إننى لا أنوى المقاومة .
اقرب منه أحد الرجال العشرة فى حذر ، وألقى نظرة دهشة
على الإسرائيلى الضخم ، ثم قال لـ (نور) فى صرامة :
— كيف فعلت ذلك ؟

هز (نور) كفيه فى لامبالاة ، وقال فى هدوء :

— لست أدرى .. لقد رفعت ساعتى فى وجهه هكذا .
ثم رفع ذراعه فجأة فى وجوههم ، وراحته ناحية وجهه ،
وقرص ساعته الدرية فى مواجهتهم ، وانبعث من القرص الصغير
فجأة ضوء مبهر أغشى أبصارهم لحظة ، قفز خلالها (نور) ،
والتقط مسدسه الليزرى ، وأطلق أشعته على فوهات المدافع
الرشاشة العشرة ..

تراجع الإسرائيليون العشرة فى ذهول ، وهم يتطلعون إلى
فوهات مدافعهم الرشاشة ، التى أذابتها أشعة الليزر ، فى حين
قال (نور) فى صرامة :

— من منكم يريد مواجهة السلاح التالى ؟

ألقى الإسرائيليون أسلحتهم ، ورفعوا أذرعهم فى استسلام
ورعب ، وغمغم أحدهم :

— إنهم من الفضاء الخارجى ولا شك .

ابتسم (نور) ، وقال فى هدوء :

— فليكن .. مادام هذا يبدو لكم أقرب إلى التصديق .
ثم عاد يقول فى صرامة :

— والآن .. سيبقى تسعة منكم فى هذه الزنزانة القذرة ،
وسيصحبنى العاشر إلى حيث أجد رفاقى حتى يلتئم الفريق مرة
أخرى .

أشار الجندى الإسرائيلى ، الذى وقع عليه اختيار (نور) ،
إلى زنزانة قريبة ، وقال وهو يرتعد :

— هنا وضعنا الأسرى الثلاثة الآخرين ، ولكن رتاج الباب
من نوع خاص و

بتر الرجل عبارته فى ذهول ، حينما انطلقت أشعة المسدس
الليزرى تذيب الرتاج ، ودفع (نور) الباب بقدمه ، وهو
يتسم قائلاً :

— مرحبًا يا رفاقى .

هتف الثلاثة فى مزيج من الفرح والدهشة :

— (نور) ؟! .. يا لها من مفاجأة !!

٧ — المقاومة ..

تبادل أفراد الفريق نظرات القلق ، بعد تصریح الجندي الإسرائيلي ، وعاد (نور) يلتفت إليه ، ويسأله في صرامة :
— ماذا تعنى بأن أحدا لن يمكنه الفرار ؟
أجابه الجندي في خوف :

— فور انطلاق الإنذار ، يتم عزل هذا الجناح تمامًا ، وتضياء كل أنوار السجن ، حتى لا ينجح مخلوق في الفرار متسترًا بالظلام ، وتقف هليكوبتر متأهبة على سطحه ، وحولها أربعة من أبرع قناصينا بمدافعهم الرشاشة ، ثم يتم اقتحام هذا الجناح بواسطة فرقة متخصصة ، مسلحة بقاذفات اللهب ، وقنابل الدخان ، والمدافع الرشاشة وأوامرهم قاطعة بالسيطرة على الموقف ، أو إبادة الهاربين تمامًا بلا رحمة .

غمغم (نور) ، وهو يتحدث رفاقه :

— يبدو أن الموقف بالغ الخطورة والحساسية هذه المرة

يارفاق .

وتعلقت (سلوى) برقبتة ، وهي تهتف في سعادة :

— كنت أعلم أنك ستأتى يا (نور) .. أنت تصل دائمًا في

اللحظة المناسبة .

رئت (نور) على كنفها في حنان ، ثم التفت إلى الجندي الإسرائيلي ، وقال :

— هل رأيت كيف أن تحطيم رتاجكم الخاص أمر هين ؟

هز الإسرائيلي رأسه في دهشة ، ثم غمغم :

— خصوصية الرتاج لا تكمن في قوته .. ولكن

قاطعه (رمزي) في جدّة :

— ولكن ماذا ؟

تردد الجندي لحظة ، ثم قال :

— حينما يتحطم هذا الرتاج ، يرسل إشارة خاصة إلى كل

رجال الحراسة في السجن الحربى ، ويصبح الفرار من هنا

مستحيلًا .

تبادل (محمود) و (سلوى) نظرات خاصة ، ثم قالت
(سلوى) :

— إنك تحمل ساعتك الخاصة يا (نور) .. أليس كذلك ؟
أجابها (نور) ، وهو يرفع معصمه في مواجهتها :
— بلى .. ها هي ذى .

أسرع (محمود) يقول في انفعال وحماسة :

— إن ساعتك تطلق ترددات صوتية عالية يا (نور) ..
جهاز الإنذار المثبت في رتاج الباب متصل ببعض الأسلاك
ولا شك .. ولو أننا أوصلنا ساعتك بالأسلاك ، وأطلقنا
تردداتها غيرها ، ستطلق أجهزة الإنذار المتصلة بالأسلاك
موجات قوية التردد ، لن يمكن لغيرنا احتمالها ، خاصة وأنا نمتلك
سدادات الأذن الخاصة ، التي كنا نستخدمها داخل مقاتلتنا ،
اتقاءً لآثار السرعة الفائقة .

غمغم (نور) في تفكير :

— ولكن أسلوب إطلاق ساعتى لتردداتها ، يختلف عن
الأسلوب السلكى ، المعروف في هذا العصر .

أسرعت (سلوى) تحل ساعة (نور) من حول معصمه ،
وهي تقول :

— سيحتاج ذلك إلى بعض التعديل ، ولكنه سيكون أمرًا
تافهًا بالنسبة لعلوم عصرنا يا (نور) .

انهمك (محمود) في البحث عن الأسلاك ، وانتزع
أطرافها من الرتاج المحطم ، في حين انهمكت (سلوى) في
محاولة تعديل ساعة (نور) ، والجندى الإسرائيلي يراقبهما في
دهشة .. أما (نور) فقد أخذ ينقل بصره بين طرفى الممر في
قلق ، انتظارًا لهجوم فرقة مكافحة الهروب ..

ومضت اللحظات مليئة بالقلق والتوتر ، وأصابع (محمود)
و (سلوى) تعمل في سرعة ومهارة ، وفجأة .. ارتفع صوت
أجش صارم ، يقول عبر مكبرات صوتية :

— إلى الأسرى الهاربين .. نطالبكم بالتسليم ، دون قيد
أو شرط .. سنمهلكم دقيقة واحدة ، ثم تتم إبادتكم جميعًا
بقاذفات اللهب .. أكرّر .

كرّر الرجل نداءه ، وتسارعت أصابع (سلوى) ،
و (محمود) في توتر ، وغمغم (رمزى) في قلق :

— يا إلهى !! هل من الممكن أن تنتهى حياتنا قبل لحظة
مولدنا ؟

أما (نور) فقد قبض على مسدسه الليزرى في قوة ، وعزم ،

وتحفز ، في حين بدأ الجندي الإسرائيلي في حالة يُرثى لها من
الرعب والفرع ، وهو يندب حظه العائر ، الذي كتب عليه
الموت حرقاً مع هؤلاء القادمين من المجهول ..

ومضت الدقيقة بسرعة عجيبة ، واقتحم فريق مقاومة
الهرب الجناح ، وارتفعت قاذفات اللهب في وجوه أفراد فريق
(نور) ، وواجههم (نور) بمسدسه الليزوي ..

وهناك .. في عصر آخر .. وفي حِقبة أخرى من حِقَب
التاريخ .. وفي زمن مختلف ، حيث بدأ (نور) وفريقه
رحلتهم .. كان هناك رجل عجوز ، امتلاً وجهه بالتجاعيد ،
وضاقت عيناه أسفل حاجبيه الكثيفين ، اللذين وخطهما
الشَّيب عن آخرهما ، وامتد منهما إلى شعره القصير ، الذي بدأ
كنهر أبيض ناصع يغطي جانبي رأسه ، ويتأثر فوقها ، محاولاً
تغطية الصلع الذي زحف إليها ، مسيطراً على مقدمتها كلها ..
وكان هذا العجوز يقف أمام شاشة أحد أجهزة الكمبيوتر ،
يتأملها في اهتمام بالغ ، وهو يغمغم محدثاً القائد الأعلى
للمخابرات العلمية :



انهمك (محمود) في البحث عن الأسلاك ، وانتزع أطرافها من الرتاج
المحطم .. في حين انهمكت (سلوى) في محاولة تعديل ساعة (نور) ..

— استاذًا إلى هذه المعلومات من الوقود الجديد ، فانفصال
ذيل المقاتلة سيؤدي إلى انخفاض وزن المقاتلة بغتة ، مما يزيد من
سرعتها .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

— ولكن سرعتها تقترب بالفعل من سرعة الضوء .

ابتسم العجوز ، وقال :

— في حالة انفصال الذيل ، ستجاوز المقاتلة سرعة الضوء
يا سيادة القائد الأعلى .

رفع القائد الأعلى حاجبيه في دهشة ، وهتف :

— لا يمكن لجسم ما تجاوز سرعة الضوء ، فنظرية (أينشتين)

تقول

قاطع العجوز في هدوء ، وابتسامة واثقة :

— لقد وضع (ألبرت أينشتين) نظريته تلك عام ألف

وتسعمائة وستة عشر ، ولا إخالك تظن نظريته قرأنا

أو دستورًا ، فقد مضى عليها ما يقرب من القرن ، وكل العلوم

تتطور ، ولا سيما في هذه الفترة الطويلة .

تنهّد القائد الأعلى ، وقال :

— أين ذهب (نور) وفريقه إذن ؟

التفت إليه العجوز في هدوء ، وقال :

— سيعيدني هذا السؤال إلى نظرية (أينشتين) مرة أخرى

أيها القائد ، وبالذات إلى تلك النقطة المتعلقة بالسفر عبر

الزمن .

قفز القائد الأعلى من مقعده ، وهو يهتف في ذهول :

— السفر عبر الزمن ؟ هذا مستحيل !!

أجاب العجوز في ثقة وهدوء :

— ليس مستحيلًا يا سيدي .

لوح القائد الأعلى بذراعه في حدة ، وهو يقول :

— لو أن ما تقوله صحيح ، فسيعني هذا أن فريق (نور)

قد قفد إلى الأبد .

اتسعت ابتسامة العجوز ، وتألقت عيناه ببريق عجيب ،

وهو يقول :

— سيعودون أيها القائد .

التفت إليه القائد الأعلى ، وسأله في دهشة :

— كيف ؟

صمت العجوز لحظة ، ثم قال :

— هل تثق بي ؟

٨ - الهروب ..

ارتفعت قاذفات اللهب الإسرائيلية ، في مواجهة مسدس (نور) الليزري ، وبدا الأمر أشبه بالانتحار ، حينما أطلق (نور) أشعة مسدسه الليزري ، وصرخ قائد فريق الإسرائيليين :
- أمطروهم بالنيران .. أريد أن

وفجأة .. بتر الرجل عبارته ، وجمحت عيناه ، وأطلق صرخة عالية ، وهو يحاول سد أذنيه بكفيه ، وسقط فريق المقاومة الإسرائيلي ، وسقط الجندي المرافق للفريق .. سقط الجميع في كل أنحاء السجن ، عدا (نور) ، وفريقه .. وزفرت (سلوى) ، وهي تقول :

- يا إلهي !! .. لقد انتهت من التعديل في اللحظة المناسبة .
لم يسمعها أحد ؛ بسبب واقيات الأذان ، وأشار (نور) إلى رفاقه أن يتبعوه ، وانطلق الجميع يتجاوزون الأجساد المرتمية ، في طريقهم إلى سطح السجن ، حيث تقبع الهليوكوبتر .. وتوقفوا أمامها لحظة ، ثم قفز (نور) إليها ، وأدار محركها ، وهو يغمغم :

قلب القائد الأعلى كفيه في خيرة ، وهو يقول :

- بالطبع .. لقد اخترتك بالذات ، على الرغم من تقاعدك منذ زمن طويل ؛ لأنني أثق بآرائك العلمية تمامًا .

ابتسم العجوز مرة أخرى ، وأومأ برأسه في بطاء ، وهو يقول

ل تأكيد وثقة :

- سيعودون .

باسل

www.dvd4arab.com



— يا إلهي !!... إنني لم أر مثل هذا الطراز إلا في كتب التاريخ ، تُرى هل سيمكنني قيادتها ؟
وعلى الرغم من تشكُّكه ، نجح في الارتفاع بالهليكوبتر ، وانطلق بها مبتعدًا ، وتنفس أفراد الفريق الصُّعداء ، وهتفت (سلوى) ، وهي تنزع واقية الأذن :

— أعتقد أننا نجحنا في الهرب ، في الوقت المناسب .

سألها (رمزي) ، وهو ينزع واقية الأذن بدوره :

— ماذا تقولين ؟

أشارت إلى مبنى السجن ، الذي يتعد بسرعة ، وابتسمت

وهي تقول :

— لن تحمل ساعة (نور) هذا التبديل طويلًا .

ولو أنها استطاعت النفاذ ببصرها إلى حيث تركت الساعة ،

لكشفت كم كان توقيتها سليمًا ..

لقد انفجرت ساعة (نور) ، بعد أن أدت مهمتها بنجاح .

استمع وزير الدفاع الإسرائيلي إلى قائد السجن الحربى في

غضب ، ثم لَوَّح بذراعه قائلاً :

— إذن فهؤلاء الأسرى يمتلكون تكنولوجيا متقدمة ..

لا أظن أنهم مصريون .. فحتى الولايات المتحدة الأمريكية ، لم تبلغ هذا القدر من التقدُّم بعد ، وإلا علمنا .

سعل مدير السجن ، قبل أن يقول :

— إنهم لم يعودوا أسرى يا سيادة وزير الدفاع .. إنهم الآن

هاربون .

ضاقت عين وزير الدفاع الإسرائيلي ، وتراقصت العصابة

السوداء على عينه الأخرى لحظة ، قبل أن يقول في صرامة :

— لن يستمر ذلك طويلًا ، لقد أمرت طائراتنا بمهاجمة

الهليكوبتر ، وإسقاطها براكبيها .

غمغم قائد السجن في تشكُّك :

— هل تظن ذلك هيئًا ، مع وجود تلك الوسائل المتقدمة

مع الغرباء يا سيدي ؟

مطَّ وزير الدفاع شفثيه لحظة ، ثم غمغم :

— لا بدُّ أن نحاول على الأقل .

وساد الصمت تمامًا في حجرة وزير الدفاع الإسرائيلي .

انطلقت الهليكوبتر الإسرائيلية يقودها (نور) ، وسط

الظلام الخيم على المنطقة ، وساد الصمت داخلها طويلًا ، قبل أن

يغمغم (رمزي) :

— إلى أين نذهب يا (نور) ؟

مط (نور) شففيه ، وقال :

— لست أدري يا (رمزي) . إنني أبتعد فحسب .

ساد الصمت المشوب بالخيرة لحظة أخرى ، قبل أن تقول

(سلوى) :

— لا بُدَّ أن نتَّجه إلى حيث مقاتلتنا ، وإلا فما نجحنا في

العودة إلى عصرنا أبداً .

أجابها (نور) في هدوء :

— ينبغي أن نحدد موقعنا أولاً يا عزيزتي .. هذا إذا كان

الإسرائيليون قد تركوها في مكانها .

وفجأة .. هتف (محمود) في توثر :

— انصتوا .

أصغى الجميع في انتباه ، ثم عقد (نور) حاجبيه ، وغمغم

في قلق :

— إنها طائرات نفّاثة ، وأعتقد أنها في طريقها لمهاجمتنا .

هتفت (سلوى) في جزع :

— وهل يمكننا مقاومتها يا (نور) ؟

هز رأسه نفياً ، وهو يقول في توثر :

— لا أعتقد ذلك للأسف يا (سلوى) .. فطبقاً لكتب

التاريخ العسكري ، تبلغ سرعة تلك النفاثات أضعاف سرعة

الهليكوبتر ، ثم إن هذه الهليكوبتر بالذات ليست من النوع

المقاتل ، وإنما هي مهيأة لمطاردة الأفراد فحسب .

وفجأة .. ظهرت الطائرات النفاثة المقاتلة ، وغبرت إلى

جوار الهليكوبتر تماماً ، ممَّا أدَّى لفقدانها توازنها لحظة ، قبل أن

ينجح (نور) في السيطرة عليها ، ويهتف (رمزي) :

— استخدم مسدسك الليزري يا (نور) .

قال (نور) في جدّة :

— لن يمكنني القيادة ، وتفادى النيران ، وإطلاق

مسدسي في الوقت ذاته يا (رمزي) .

ثم عقد حاجبيه في صرامة ، وهو يستطرد :

— ولكن هناك وسيلة أفضل .

وانخفض فجأة بالهليكوبتر ، وانطلق بها على ارتفاع عشرة

أمتار فقط من سطح الأرض ، فهتف (محمود) :

— ماذا تفعل يا (نور) ؟

أجابته (نور) في صرامة :

— اقفزوا جميعاً .. هيّا .. قبل أن ينسف هؤلاء الأوغاد

الهليكوبتر .

تردد الرفاق لحظة ، ولكن (نور) صرخ في صرامة :
— هيا .

وفي نفس اللحظة انهمر وابل من الرصاصات على
الهلوكوبتر .

كان للرصاصات الإسرائيلية أثر قوي ، فقد قفز (رمزي)
و (محمود) في الحال ، وأنقذتهما رمال الصحراء من أثر
السقوط ، في حين انفجرت (سلوى) بالبكاء ، وهي تقول :
— لن أتركك وحدك يا (نور) .

انخفض (نور) مرة أخرى بالهلوكوبتر ، حتى كاد يلاصق
الأرض ، وصاح بها في صرامة :

— اذهبي يا (سلوى) .. اذهبي .

هتفت في حزن وعناد :

— ان أتركك وحدك .

كانت المقاتلات تعاود انقضاضها على الهلوكوبتر في هذه
اللحظة ، وقد استعدت لإطلاق صواريخها ، فصاح (نور) :
— اقفزي يا (سلوى) .. أرجوك .

صاحت في صرامة :

— إذا كان الموت قدرنا ، فلنمت معاً .

تخلّى (نور) فجأة عن عصا القيادة ، واندفع نحو
(سلوى) ضائحا :

— فليكن يا (سلوى) .. سنذهب معاً .

وبقفزة ماهرة ، أحاط وسط زوجته بذراعيه ، واندفع
كلاهما خارج الهلوكوبتر ، في نفس اللحظة التي أصابها فيها
صاروخ مباشر ..

سقط (نور) و (سلوى) في الرمال ، وغطى (نور)
جسد زوجته بجسمه ، ليقبها الشظايا التي انطلقت من انفجار
الهلوكوبتر ، الذي أضاء السماء المظلمة كلها ، قبل أن يعود
السكون والظلام ، إلا من صوت المقاتلات وهي تبتعد ..

مضت لحظة من الصمت والسكون ، قبل أن ينهض
(نور) ، ويعاون زوجته على النهوض ، وينفض كلاهما الرمال
عن ثيابه ، وغمغمت (سلوى) :

— يا إلهي !! إنه أطول يوم قضيته في حياتي كلها .

أشار (نور) إلى الشفق ، الذي بدأ يتلون بضوء أحمر
خافت ، وقال :

— لقد أصبحنا في الثاني من يونيو يا عزيزتي ، هاهي ذي
شمس الفجر تشرق .
وفجأة .. التصقت فوهة باردة بظهرة ، وسمع صوتًا صارمًا
يقول :

— ملحوظة طريفة يا فتى .. حذار أن تستدير قبل أن تحيب
سؤالي ، أي جانب تؤيد : الإسرائيليين أم الفلسطينيين ؟ .. فكّر
جيدًا قبل أن تحيب ، فلن تكون هناك فرصة ثانية .



وبقفزة ماهرة ، أحاط وسط زوجته بدراعيه ،
واندفع كلاهما خارج الهليوكوبتر ..

٩ - الأصدقاء ..

عقد (نور) حاجيه ، وهو يستمع إلى تلك اللهجة الصارمة ، وارتجفت (سلوى) في خوف ، ولكن (نور) أجاب في صرامة مماثلة :

— إننى مصرى ، ومن الطبيعى أن أختار الفلسطينيين .
ابتعدت الفوهة الباردة ، وتبدلت نبرات الصوت ، وصاحبه يهتف فى دهشة :

— مصرى ؟! .. ماذا تفعل هنا بحق السماء ؟.

استدار (نور) و (سلوى) فى بطاء ، وطالعتهما عينان زرقاوان ، يحيط بوجه صاحبهما ذلك الدثار الأبيض الممتلىء بالخيوط الحمراء المتقاطعة ، والذي كان يميز رجال المقاومة الفلسطينية فى الستينات ، فهتفت (سلوى) فى فرح :

— يا للحظ الحسن !! أنت فلسطينى ؟

أزاح الرجل لثامه ، فبدت ملامحه الرجولية القويّة ، وهو

يقول :

— بالطبع .. وأنا أفخر بذلك .. ولكن ما معنى ثيابكم اللامعة هذه ، ومعركة الطائرات التى نجوت منها بأعجوبة ؟
ابتسم (نور) ، وهو يمد يده لمصافحته قائلاً :

— أنا الرائد (نور الدين) .. من المخابرات الـ .. المصرية ، وقصتنا ستحتاج إلى وقت طويل ، وشرح معقد .
صافحه الرجل فى قوّة وحرارة ، وهو يقول :

— وأنا (نضال فايد) .. قائد المقاومة الفلسطينية فى قطاع (تل أبيب) ، وسيسعدنى سماع قصتكم فى مقرنا .
ابتسم (نور) مرّة أخرى ، وهو يقول :

— سنبحث عن رفيقنا أولاً و

قاطعته (نضال) ، وهو يقول فى هدوء :

— إنهما بخير .. اطمئن .. لقد التقطهما رجالى منذ قليل .
ثم ابتسم ، وهو يردف فى حسم :

— وأنتم جميعاً تحتاجون إلى نوم عميق قبل أن نتحدث ..
فمن الواضح أن أحدكم لم يذق النوم منذ فترة طويلة .
وختم حديثه بعبارة مقتضبة حازمة :

— مرحباً بكم .

* * *

لم يشعر (نور) في حياته كلها بمثل هذا النشاط ، حينما استيقظ من مخبأ رجال المقاومة ، وبدا له المكان أنيقًا نظيفًا ، على الرغم من أنه كان مجرد مغارة في الجبل ، ثم تم نقل بعض الأثاث والمعدات إليها ، وتنظيمها على نحو يسمح بمعيشة عدد كبير من الأفراد ، وكان رجال المقاومة يتعاملون معه ومع رفاقه في وُد واحترام ، وسأل (نور) أحدهم في اهتمام :

— أين (نضال) ؟

ابتسم الشاب ، وقال :

— لم يعد من عمله بعد .

ارتفع حاجبا (نور) في دهشة ، وهو يقول :

— عمله !؟

أطلق الشاب ضحكة مرحة قصيرة ، وقال :

— هل تظن أن مقاومة الاحتلال عملنا ؟ .. إن لكل منا

عملًا آخر ، وإلا كان من السهل التقاط أفراد المقاومة من وسط المتعطلين .

ابتسم (نور) وهو يسأله في اهتمام :

— وفيم يعمل (نضال) ؟

تردد الشاب لحظة ، ثم قال :

— هو وحده صاحب الحق في إجابتك يا سيدي .
وهنا جاء صوت (نضال) من خلف (نور) يقول في هدوء :

— ماذا تريد أن تعرف أيها الرائد ؟

التفت إليه (نور) في هدوء ، ثم ارتفع حاجباه في دهشة ، فقد كان (نضال) يبدو مختلفًا تمامًا في حُلته السوداء الأنيقة ، ورباط عنقه المعقود في مهارة ، وشعره الكامل السواد ، المصفّف في عناية ، حتى أن (نور) هتف :

— يا إلهي !!.. لولا صوتك ما عرفتك يا (نضال) .

ابتسم (نضال) ابتسامة خافتة ، وقال :

— عملي يتطلّب هذا المظهر الأنيق .

ثم أردف ، وهو يلوح بكفه :

— من يتصوّر أن (نضال فايد) أستاذ الفيزياء بجامعة

(تل أبيب) ، والذي يبدو دائمًا متألّقًا أنيقًا هو نفسه قائد

المقاومة ، الذي تبحث عنه السلطات الإسرائيلية ليلاً ونهارًا .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— أعتقد أنها تغطية رائعة .

ابتسم (نضال) نفس الابتسامة الشاحبة ، وقال :

— والآن يا ضابط المخبرات المصرى ، كلى آذان صاغية
لسماع قصتك ، وأعتقد أن الفضول يملؤنى حتى الأعماق ..
فلقد رأيت زملاءك منهمكين فى دراسة معادلات معقدة ، لم أفهم
معادلة واحدة منها ، على الرغم من أننى أجمل شهادة الدكتوراه
فى الفيزياء ، والعلم يستهوينى طوال أعوامى الأربعين .

تنهد (نور) ، وقال :

— هذا جزء من قصتنا العجيبة يا (نضال) ، وإننى
أتساءل هل ستصدقنا ؟

هتف (نضال) فى حماس :

— إننا نصدق المصريين دوماً يا صديقى ، فرئيسهم البطل
(جمال عبد الناصر) ، هو أملنا فى تحرير أرضنا المحتلة ، ألم
تسمعه وهو يهتد بالقاء (إسرائيل) فى البحر ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى خفوت :

— التهديد شىء ، والتنفيذ شىء آخر يا صديقى .

عقد (نضال) حاجبيه ، وقال فى انفعال :

— سيفعلها (عبد الناصر) .. لقد أغلق خليج العقبة فى

وجوههم ، وسوف

قاطعه (نور) فى هدوء :

— لا ينبغي أن تضع آمالاً عريضة ، استناداً إلى ذلك
يا صديقى .

سأله (نضال) فى جدّة :

— هل أنت مناهض لنظام حكم الرئيس (عبد الناصر) ؟

هز (نور) رأسه نفياً ، وقال :

— لا يا صديقى ، فلا شأن لى بـ (عبد الناصر) ، أكثر مما

قرأته عنه .

هتف (نضال) فى انفعال :

— لماذا تشكك فى قدرته على هزيمة (إسرائيل) إذن ؟

زفر (نور) فى قوة ، وقال فى صرامة :

— اسمعنى يا (نضال) ، سيهاجم الإسرائيليون

(مصر) ، صباح الخامس من يونيو وسيحطّمون كل المطارات

الحربية المصرية ، فى الهجوم الأولى ، وسيهزمون مصر هزيمة

نكراء ، ستعرف فى التاريخ باسم (نكسة يونيو) ، وبعدها

بثلاث سنوات سيلقى (عبد الناصر) ربه ، وسيتولى (أنور

السادات) حكم البلاد و

هتف (نضال) فى سخط واستكثار :

— (أنور السادات)؟! .. رئيس مجلس الأمة ، إنه أبعد

١٠ - الحقيقة المذهلة ..

ظلّ (نضال) صامتًا ، متسع العينين ، حتى بعد أن انتهى
(نور) من قصته ، ثم هز رأسه في قوة ، وكأنه ينفذ عن نفسه
الدهول ، قبل أن يقول :

— صدّقني أيها الرائد (نور) .. إنني ألمح نبرات الصدق
في صوتك ، ولكن قصتك تبدو عجيبة ومذهلة للغاية .
غمغم (نور) :

— ولكنها حقيقة .

— حقيقة أغرب من الخيال .

— حتى مع دراستك العلمية ؟

— أنت لا تفهمني .. إن دراستي العلمية بالذات ، هي

ما يجعل الأمر عسيرًا .

— كيف ؟

— نظرية (أينشتين) تقول إن تجاوز سرعة الضوء

مستحيل .

شخص عن الحكم !.. لو أن (السادات) تولّى حكم مصر ،
فلن تهزم (إسرائيل) قط .

تنهّد (نور) ، وقال :

— بالعكس يا (نضال) ، سيذيق المصريون (إسرائيل)
أول هزيمة في حياتها بقيادة (أنور السادات) ، في أكتوبر عام
ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ، وبعدها

قاطعته (نضال) في صرامة :

— مهلاً أيها الرائد .. كيف تتحدث عن أحداث مستقبلية

بهذه الثقة ؟ .. هل تدعى قدرتك على قراءة الغيب ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب في هدوء :

— ما أخبرك به ليس غيبًا بالنسبة لي يا (نضال) .. إنه تاريخ .

اتسعت عينا (نضال) في دهشة ، وهو يغمغم :

— تاريخ ؟!

أجابه (نور) في هدوء :

— نعم يا (نضال) .. وهذا هو وجه الغرابة في قصتنا .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يردف في بطء :

— لقد أتينا من القرن الحادى والعشرين .. من عام ألفين

وأربعة بالتحديد .



عند هذه النقطة أخرج (نور) مسدسه الليزري ،
وصوبه إلى قطعة صخر قريية ..

— وتجربتنا الشخصية تؤكد أن هذا ممكن .

— أريد دليلاً قوياً .

— ألا تكفيك ثيابنا ، ومطاردة الإسرائيليين لنا ؟

— أريد دليلاً أقوى .

عند هذه النقطة أخرج (نور) مسدسه الليزري ، وصوبه
إلى قطعة صخر قريية ، وقال :

— هل يكفيك هذا ؟

وانطلقت أشعة الليزر تثقب الصخر ، فأتسعت عينا

(نضال) في دهشة ، ثم عقد حاجبيه ، وغمغم :

— إنها أشعة ليزر .. أليس كذلك ؟

أوماً (نور) برأسه إيجاباً ، فابتسم (نضال) ،

وقال :

— هل أمكنهم تصغير الأجهزة التي تطلقها إلى هذا الحد في

عصرك ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— بل أصغر من ذلك .

هز (نضال) رأسه ، وقال :

— التطور العلمي لا يتوقف أبداً .

سأله (نور) في اهتمام :

— هل اقتعت ؟

تردد (نضال) لحظة ، وحينها همَّ بالكلام ، وصل (محمود)
و (سلوى) ، و (رمزي) ، وقال الأول لـ (نور) في اهتمام
شديد :

— لقد وجدنا وسيلة لعودتنا إلى عصرنا يا (نور) .

هتف (نور) في لهفة :

— حقًا !؟

أجابته (سلوى) ، وهي تلوح ببعض الأوراق :

— لقد درسنا كل الظروف والاحتمالات ، وحولناها إلى
معادلات ثابتة .. ووجدنا أنه لو أمكننا تركيب ذيل للمقاتلة ،
يساوي وزنه نفس وزن ذيلها الأصلي ، واتخذنا نفس خط
السَّير ، ولكن على نحو عكسي ، وباستخدام نفس التدرُّج في
السرعة . ثم قمنا بفصل الذيل عند بلوغنا السرعة القصوى ..
فسيتمكننا العودة إلى نفس نقطة انطلاقنا ، بنسبة خطأ لن
تتجاوز يومين ، أو أسبوعًا على الأكثر .

سألها (نور) :

— وما الذي يضمن أننا لن نزداد توغُّلاً في الماضي ؟

أجابه (محمود) :

— لن نفعل ؛ لأننا سننتقل في عكس اتجاه دوران الأرض ،
وسيدفعنا هذا إلى المستقبل ، على عكس المرة الأولى ، التي كنا
ننتقل فيها في اتجاه دوران الأرض ، مما جعلنا نقفز إلى الماضي .
صمت (نور) مفكرًا في عمق ، في حين قال (نضال) في
هدوء :

— هناك خطأان في هذه الخطة .

سألته (سلوى) في اهتمام :

— ما هما ؟

جلس فوق صخرة كبيرة ، وهو يقول :

— أولهما أن البشر ، مهما بلغت دقته ، لا يمكنه القيام
بالخطوات ذاتها مرتين ، وأى خطأ ، ولو بسيط ، في خطتكم
هذه ، قد يدفعكم إلى عصر آخر ، في الماضي البعيد ،
أو المستقبل .

ابتسم (محمود) ، وقال :

— لقد درسنا هذه النقطة أيضًا ، وأكد لنا (رمزي) ،
بصفته الطيب النفسي ، المتخصِّص في الانفعالات البشرية ،
أن ذلك مستحيل ؛ لذا فقد قرَّرنا برمجة كل هذه المعادلات ،

في الكمبيوتر الخاص بالقيادة الآلية في المقاتلة ، بحيث تنطلق في رحلتها العكسية دون تدخل بشري .

تطلع إليه (نضال) لحظة في شك ، ثم لَوَّح بذراعه ، وهو يقول :

— لن أسألكم عن حجم الكمبيوتر في مقاتلتكم ، فالكمبيوتر في عصرى هذا يحتاج إلى طابق كامل في بناية كبيرة ، ولكنى أتساءل كيف سيتمكنكم وضع البرنامج ، مادامت بعيدين عن المقاتلة ؟

خلع (محمود) نظاره الطيى ، وقال وهو يتسهم :

— سنضع البرنامج في الكمبيوتر الشخصى الخاص بى ، ثم نقله إلى كمبيوتر المقاتلة ، حينما نصل إليها .

ثم ناول المنظار لـ (نضال) ، وهو يقول :

— ضعه على عينيك ، واضغط الزر في أعلاه .

وضع (نضال) المنظار على عينيه في حذر ، وضغط الزر ، ثم شهق في دهشة ، فقد اختفت شفافية عدسات المنظار بفتة ، وتحولت إلى لون زيتونى داكن ، وترأصت فوقها كلمات تؤكد استعداد الكمبيوتر للعمل ، وانتظاره للأوامر ، فأسرع (نضال) ينتزع المنظار عن عينيه ، وهو يقول في حماسة :

— لقد اقتنعت بقصتكم تمامًا أيها السادة .

ثم أردف في قلق :

— ولكن هناك نقطة ما زالت تُعوق عودتكم إلى عصركم غمغم (نور) :

— استعدادنا للمقاتلة .. أليس كذلك ؟

هتف (نضال) في انفعال :

— بلى .. ولكنى أعرف مكانها على الأقل .

تبادل أفراد الفريق نظرات الأمل في لهفة ، وهتف (نور) :

— كيف ؟

أجابه (نضال) في حماسة :

— لقد ذهبت لفحصها بصفى أستاذًا في الفيزياء ، مع

نخبة من العلماء ، تحت حراسة مشددة صباح اليوم .. ولقد

أدهشنا معدنها الصلب دهشة بالغة ، وعجزنا جميعًا عن

فتحها .

ثم أردف ، وهو يعقد حاجبيه في تفكير :

— ولكن الإسرائيليين يشددون الحراسة حولها ، فهناك

خمسة وعشرون جنديًا مدججًا بالسلاح ، وأضواء كاشفة ،

ودبابتان .

١١ — خُطَّةُ العمل ..

اتسعت ابتسامه (نضال) في اليوم التالي ، وهو يقول في حماسة :

— لقد نجحنا أيها الأصدقاء .

سأله (رمزي) في لطفة :

— هل وافقوا على صنع الذيل ؟

ضحك وهو يقول :

— بل لقد بدءوا تصنيعه بالفعل ، وسيضيفونه إلى مقاتلتكم

صباح الغد .

أطلق (محمود) صفيراً طويلاً ، وهو يقول :

— بهذه السرعة !؟

أوماً (نضال) برأسه إيجاباً ، وقال :

— إنهم شديديو اللهفة للانتهاء من هذا الأمر ، وكأنهم

مُقدمون على شيء بالغ الخطورة .

وصمت لحظة ، ثم أردف في ضيق :

ساد الصمت بين أفراد الفريق ، ثم غمغمت (سلوى) في يأس :
— وهناك نقطة سلبية أخرى ، فكيف سيمكننا صنع الذيل ؟

ابتسم (نضال) ، وقال في هدوء :

— أعتقد أنني أملك حل هذه المشكلة ياسيدي .

وقبل أن يسأله أحدهم عما يعنيه ، أردف في اهتمام :

— إن الإسرائيليين يمتلكون باللهفة ، حل أي غموض يتعلق

بمقاتلتكم .. ولو أنكم وضعتهم تصميماً للذيل الذي تريدونه ،

وقدمته أنا للسلطات غداً ، مدعياً أنني توصلت إليه بعد

دراستي للمقاتلة ، فسيسارع الإسرائيليون بصنعه ، وتركيبه ،

عسى أن يقودهم إلى حل اللغز .

هتفت (سلوى) في لطفة :

— هل تعتقد ذلك ؟

ثم عادت ملاحظها إلى يأسها ، وهي تقول :

— ستبقى عندئذ أكبر مشكلة ، ألا وهي استعادتنا المقاتلة .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال :

— علينا أن نحاول يا عزيزتي ، وإلا بقينا إلى الأبد أسرى

الزمن ، وضاعت حياتنا عبر ثقب في التاريخ .

— ولعلهم يستعدون حقًا لتلك الحرب بعد غد .

تبادل أفراد الفريق نظرات آسفة ، ثم سأله (نور) في
اهتمام :

— وماذا عن المقاتلة نفسها ؟

أجابه (نضال) في اهتمام :

— رجالنا يراقبونها منذ فجر اليوم ، ويقولون إن الدوريات
تبدل لحراستها في الثامنة صباحًا ، والثامنة مساءً .

سأله (نور) :

— هل عرفوا الطريق الذي تقطعه الدورية الجديدة ؟

أوماً (نضال) برأسه إيجابًا ، فتألمت عينا (نور) ، وقال

في اهتمام :

— حسنا .. أعتقد أننا سننجح في استعادة مقاتلتنا

— بإذن الله — يا رفاق .

ثم انطلق يشرح لهم خطته في حماسة ..

في وقت آخر .. في زمن (نور) ورفاقه ، كان القائد الأعلى

يجلس في قلق شديد ، أمام الدكتور (عبد الله) ، مدير معمل

الأبحاث التابع للإدارة ، والذي يقول في توثر :

— لماذا تثق في هذا العجوز يا سيدي ؟ .. إن نظرياته لا تتفق

أبداً مع القواعد العلمية المعروفة .

مطَّ القائد الأعلى شفثيه ، وقال :

— إنه يبدو واثقًا للغاية يا دكتور (عبد الله) .

هتف الدكتور (عبد الله) في حنق :

— إنه عجوز مخزف ، إنني لا أثق في كلمة واحدة مما يقول .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، وقال :

— إنني أميل لتصديقه يا دكتور (عبد الله) ، ربَّما لأنني

أتمنى عودة (نور) ورفاقه ..

غمغم الدكتور (عبد الله) في ضيق :

— كلنا نتمنى ذلك يا سيدي ، ولكن

قاطعته القائد الأعلى بإشارة من يده ، وقال :

— كفى يا (عبد الله) .. إننا نتمسك بالأمل فحسب .

ثم أردف في حزن :

— وأنا أتمنى من كل قلبي أن يُوفَّق الله (سبحانه وتعالى)

فريق (نور) ، في أي مكان ، أو أي زمان كانوا .

تنهَّدت (سلوى) ، وقالت وهي تتحسَّن المدفع

الرشاش ، الذي أعطاها إيَّاه (نضال) :



ابتسم (نور) ، وصوب مدفعه الرشاش إلى الأهداف ،
وأطلق النار ..

— كم يزداد شعوري بأننا نعيش حلمًا مزعجًا ، كلما رأيت
هذه الأسلحة القديمة ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

— هل تعلمين أنني أتمنى إطلاق أحدها يا (سلوى) ؟

غمغم (نضال) في جدية :

— ولم لا ؟

ثم التقط مدفعًا رشاشًا ، وناولته لـ (نور) ، وهو يقول :

— اصحبنى إلى حجرة التدريب .

سارا إلى كهف ثان ، يفصله جدار صخري ضخيم عن

الكهف الرئيسي ، وأشار (نضال) إلى عدة أهداف مثبتة على

الجدار ، وقال :

— هيا .. أنا أيضًا أريد أن أعرف ، هل تحيد إطلاق

الرصاص ، كمهارتك في إطلاق أشعة الليزر .

ابتسم (نور) ، وصوب مدفعه الرشاش إلى الأهداف ،

وأطلق النار ..

أصاب (نور) هدفين في دقة ، ثم تأوه في قوة ، فسأله

(نضال) في جزع :

— ماذا أصابك ؟

ابتسم (نور) في شحوب ، وقال :

— إنه جرح ذراعى .. لم يكن يؤلنى في البداية ، فهو مجرد خدش سطحى ، ولكن يبدو أنى أحتاج إلى بعض ال (سيمانولين) .

عقد (نضال) حاجبيه ، وغمغم :

— ال .. ماذا ؟

ضحك (نور) ، وهو يقول :

— إنه نوع متطور من مضادات البكتريا ، ولا أعتقد أنه معروف في هذا العصر .

أوما (نضال) برأسه متفهّما ، وقال :

— إنه ارتداد المدفع الرشاش الذى أثار آلام جرحك .. فأسلحة الليزر لا تعطى ردًا عكسيًا ، كما تفعل الأسلحة النارية .. وأنا أعتقد أنك لم تتعامل من قبل مع أسلحة لها رد فعل .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— هذا صحيح .. هيّا بنا نعود إلى ال ..

أوقفه (نضال) فجأة ، وسأله في تردّد :

— بالنسبة لنكسة يونيو .. هل أنت واثق من معلوماتك ؟ ..

أغنى هل ..؟

قاطعة (نور) في هدوء :

— إنه تاريخ في عصرنا يا صديقى ، وأنا أهوى دراسة

التاريخ .

ظهر الحزن على وجه (نضال) ، وقال :

— لقد حاولت إنذار المسئولين في مصر ، ولكنى لم أنجح

حتى الآن .

رئت (نور) على كتفه ، وقال :

— إنه تاريخ .

هتف (نضال) في حنق :

— ألا يمكن تبديل التاريخ ؟

ابتسم (نور) في إشفاق ، وقال :

— سنناقش هذا فيما بعد يا (نضال) ، فنحن نستعد

الآن لمهاجمة دورية حراسة المقاتلة .

أوما برأسه إيجابًا ، وغمغم دون أن يزايل الحزن نبراته :

— نعم .. قد ينتهى التاريخ بالنسبة إلينا غدًا .

١٢ — الرابع من يونيو ..

ساد الصمت التام في ذلك المعبر الجبلي ، الذي يتوسط الطريق بين (تل أبيب) ، ومقاتلة القرن الحادي والعشرين ، القابعة على رمال (النقب) ، واتجهت عيون (نور) وفريقه ، و (نضال) ، ورجال المقاومة الفلسطينية ، إلى المعبر الجبلي ، وقلوبهم تنبض في قوة ، انتظاراً لمرور دورية الحراسة ، وتطلع (نضال) إلى ساعته ، وهو يغمغم :

— ستظهر الدورية بعد خمس دقائق بالضبط .

همس (نور) :

— هل درس رجالك الحطة جيداً ؟

ابتسم (نضال) ، وقال :

— اطمئن .. إنهم معتادون على مثل هذه الهجمات .

عاد الصمت يسيطر على المنطقة لحظة أخرى ، ثم غمغم

(نضال) :

— هل تريد نصيحتي أيها الرائد ؟ .. حذار أن تبوح بسر

السفر عبر الزمن ، حينما تعود إلى عصرك .. فأنا سأحفظ بأمركم سرّاً ، وأعتقد أن الإسرائيليين لن يوحوا به أبداً .
سأله (نور) :

— لماذا ؟

هزّ (نضال) كتفيه ، وقال :

— إنك لا تبصّر خطورة ذلك ، لو كشف عصر ماسر السفر عبر الزمن ، قد يؤدي إلى انهيار التاريخ كله .. حاول أن تتخيل ما يمكن أن تفعله دولة تملك هذا السر ، بزعماء الدول المناهضة لها ، إذا ما أمكنهم السفر إلى عصر مولد هؤلاء الزعماء ، وقتلهم في المهد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— سيكون هذا خطيراً للغاية .

وفجأة .. أمسك (نضال) ذراع (نور) في قوّة ، وهمس

في انفعال :

— لقد حانت لحظة القتال .

ولمّح (نور) أضواء الدبابة الأولى ، وهي تعبّر المعبر الجبلي ، في الثامنة إلا الثلث تماماً .

أشار (نضال) إلى رجاله في صمت ، فانطلقوا كالفهود في دروب الجبل ، وكل منهم يحمل مدفعه الرشاش ، وانتظر الجميع في هدوء ، حتى عَبَر الجنود الخمسة والعشرون ، وخلفهم الدبابة الثانية ، ثم صاح (نضال) في قوّة :

— هجوم —

وتحوّل المكان في لحظة واحدة إلى قطعة من الجحيم .. لقد بدأت المعركة بعشر قنابل أقيت دفعة واحدة ، حطمت ست منها دبابتى المقدّمة والمؤخرة ، وانفجرت الأربع الأخرى وسط الجنود .. وقبل أن يتالكوا أنفسهم ، انطلقت رشاشات المقاومة الفلسطينية نحوهم ، وأطلقوا هم النار دفاعًا عن أنفسهم ..

واستغرقت المعركة خمس دقائق فحسب ، سيطر بعدها رجال المقاومة على الموقف ، وهتف (نضال) في حزم :

— هيا يا رجال .. سنرتدى ثياب الإسرائيليين ، ونبدأ الجزء الثاني من الخطة .

أسرع الجميع يرتدون ثياب الجنود الإسرائيليين ، وقال (نضال) :

— ينبغي أن تعلموا جميعًا أننا سنقطع ما يقرب من

الكيلومتر في العراء ، أمام عيون رجال الدورية التي تتولى الحراسة الآن ، وسيلاحظون جميعًا عدم وجود الدبابتين ، وسيفقدنا هذا عامل المفاجأة .

غمغمت (سلوى) في قلق :

— هل تعتقد أننا سننجح ؟

ابتسم في سخرية ، وقال :

— ماذا قال تاريخكم في ذلك ؟

تعلّقت عيون رجال الدورية الإسرائيلية ، التي تقوم على حراسة المقاتلة المستقبلية ، بالرجال الذين يقتربون منهم في خطوة عسكرية منتظمة ، وغمغم أحدهم في دهشة :

— أين الدبابتان ؟

أجابه زميله في خيرة :

— لست أدري .. ربّما سيتمّ تخفيف الحراسة اعتبارًا من

اليوم .

عقد الحارس حاجيه في شك ، وغمغم :

— ربّما !

ثم رفع عقيرته بالصياح ، قائلاً :

— قِف .. كلمة السرّ .

تبادل (نور) و (نضال) نظرة جزع ، وغمغم (نور) :

— يا إلهي !! .. إننا لم نتوقّع ذلك .

عقد (نضال) حاجبيه ، وقال :

— على كل .. سنمنحهم كلمة سرّ لا تخطئ أبداً .

وفي حركة واحدة ، رفع كل منهما مدفعه الرشاش نحو رجال

الدوريّة الإسرائيليّة ، وأطلقا النار ..

وكانت مفاجأة شديدة بالنسبة للإسرائيليين ، ولكنها لم

تمنعهم من مبادلة رجال المقاومة النيران ، واستعر جحيم القتال

مرة أخرى .

كان تبادل النيران عنيفاً قوياً ، وتصاعدت آلام ذراع

(نور) ، وهو يطلق مدفعه الرشاش في بسالة ، حتى هتف به

(نضال) :

— الدبّابتان .. لو انطلقتا سنخسر كل شيء .

ثم أشار إلى (نور) ، قائلاً :

— لا بدّ أن نحاول منعهما ، مهما كان الثمن .

واندفع الاثنان في جسارة ، وسط وابل من النيران .

كانت محاولة باسلة ، رهيبة ، أثارت ذهول الإسرائيليين ،

ولكنها لم تُهن من إصرارهم على صد الهجوم .. وانطلقت

رصاصاتهم نحو (نور) و (نضال) ، ولكن رصاصات رجال

المقاومة أمّنت تغطية مناسبة ، وإن شعر (نور) بضعف موقف

رجال المقاومة — على الرغم من بسالتهم — أمام دبّابتين ،

استعدّ مدفعاهما للدخول في المعركة ..

وهنا توقّف (نور) ، وانترع مسدّسه الليزرى ، وأطلق

أشعته نحو الدبّابة الأولى ..

وكانت المفاجأة الحقيقية للجنود الإسرائيليين ، حينما رأوا

الشعاع الأزرق ، وهو يشقّ مدفع الدبّابة ، وأجمتهم هذه

المفاجأة على نحو عجيب ، فسمّرت أصابعهم على أزندة

أسلحتهم ، وسقطت فكوكهم في ذهول ، وحانت فرصة مثالية

للمنصر ، أمام رجال المقاومة الفلسطينية ..

ورأى قائد الدبّابة الثانية زملاءه يتساقطون كالذباب ، أمام

رصاصات رجال المقاومة ، وتفجّر الغضب في أعماقه ، فأدار

قوّهة مدفع الدبّابة نحو (نور) ، الذى واجه الدبّابة بمسدّسه

الليزرى ، وأطلقه ..

ولكن الأشعة الزرقاء لم تنطلق ..

لقد فرغت طاقة المسدّس الليزرى .

١٣ - التاريخ ..

كان الموقف يؤكد هزيمة (نور) ..
هزيمة رجل واحد أمام دبابة من الصلب ..
ولكنه لم يكن رجلاً عادياً ..

كان مقاتلاً من القرن الحادى والعشرين ..

واندفع (نور) فى جسارة مذهلة نحو الدبابة ، وقفز فى
براعة وشجاعة ، وتعلق بالمدفع الأسطوانى الصلب ، ودار
بجسده حوله ، فى مهارة لاعب أكروبات ، وقفز واقفاً فوقه ، ثم
انطلق فى رشاقة مذهلة ، وقفز فوق الدبابة ، وفتح بابها
العلوى ، وصوب مدفعه الرشاش إلى طاقمها ، وهو يقول فى
صرامة :

— لقد انتهى القتال أيها الأوغاد ..

واستسلم طاقم الدبابة ..

وربح رجال المقاومة المعركة ..

وربّت (نضال) على كتف (نور) فى إعجاب ، وهو

يهتف فى حرارة :

— أنت مقاتل حقيقى يا صديقى .. كم أتمنى لو أنك تنتمى
إلى عصرنا ..

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— كاد هذا يتحوّل إلى حقيقة ، لولا معاونتك أيها البطل ..
ثم أسرع إلى المقاتلة ، وحرّك أصابعه فوق مربع أسود فى
مقدمتها ، ببراعة ومهارة مدروستين ، ولم يكده يبعده ، حتى
فُتح باب المقاتلة ، وبدت أجهزتها المتطورة أمام الجمع المبهور ،
وأسرع (محمود) و (سلوى) داخلها ، وقال (رمزى) فى
انفعال :

— يقول (محمود) إنه أمامهما نصف ساعة على الأكثر ،

ونصبح مستعدين للعودة إلى عصرنا ..

تألقت عينا (نور) ، وهو يقول :

— يا إلهى !! .. كم أشتاق لمنزلى ، وابنتى (نشوى) ..

ثم أردف وهو يبتسم :

— وإلى عصرى ..

مضت نصف الساعة فى بطاء وتناقل ، حتى قفزت (سلوى)
خارج المقاتلة ، وهى تقول فى انفعال :

— لقد أصبحنا مستعدين يا (نور) .. تمّت برمجة القائد الآلى ، ولكن حذار ، فسيمكنك القيادة طالما لم تمس زرّ القيادة الآلية .. فبرنامج حتمى ، لا يمكن التراجع فيه .. وهو مبرمج بحيث يعيد تعديل مساره ، كلما استخدمت أنت القيادة اليدويّة ، بحيث ينطلق من أيّة نقطة ، ليعدّل مساره ، ويبدأ رحلته نحو عصرنا من البداية .

ابتسم (نور) ، وقال :

— اطمئنّى يا (سلوى) .. لن أحاول تعديل مساره أبداً ، فأنا فى أشدّ اللهفة لعودتنا ..

تردّدت (سلوى) لحظة ، وتبادلت نظرة ذات مغزى مع (رمزى) ، و (محمود) ، ثم قالت فى بطاء .

— لقد ناقشنا هذه النقطة يا (نور) ، ووصلنا إلى رأى آخر .

عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

— أى رأى هذا ؟

قال (رمزى) فى رصانة :

— هل تعلم ماذا سيحدث غداً يا (نور) ؟ .. سيهاجم الإسرائيليون مصر ، وسيكبدونها أبشع خسارة عسكرية فى التاريخ ، ونحن أمامنا فرصة مثالية لتغيير هذا التاريخ .

هتف (نور) فى دهشة :

— ماذا تعنى يا (نور) ؟

ابتسم (رمزى) ، فى حين أجاب (محمود) :

— إننا نعرف موعد الهجوم بالضبط يا (نور) ، ولحظته ، وخطّته ، كما قرأنا فى كتب التاريخ .. ثم إننا نملك مقاتلة من عصرنا ، لن يمكن لطائرة إسرائيلية واحدة اللحاق بها ، أو إصابتها ، ويمكننا وحدنا صدّ الهجوم الإسرائيلى ، ومنع النكسة .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى جدّة :

— هل تعلمون ما تعنيه محاولة تغيير التاريخ ؟ .. إن التاريخ عبارة عن مجموعة حلقات مترابطة ، لم يحدث خلل فى حلقة واحدة منها ، لانهارت الحلقات التى تليها ، ومحاولة تجنّب النكسة قد تكون لها عواقب وخيمة .. فلا أحد يدري أين الخير ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يرثب الأحداث ، ويصنع ما فيه الخير .

هتف (رمزى) :

— ولكننا مصريّون يا (نور) ، ومصر تتعرّض لنكسة ، ويمكننا منعها ، فكيف نقف ساكنين .

هتف (نور) :

— إننا لانتمى إلى هذا العصر .. إننا نتمى إلى عصر آخر
في مستقبل هذا الزمن ، وتغيير حدث واحد هنا ، قد يؤدي إلى
نتائج مذهلة ، بل قد يؤدي إلى عدم وجودنا في زمننا أصلاً .
قال الثلاثة في آن واحد :

— سنضحى بوجودنا من أجل مصر يا (نور) .
صمت (نور) تماماً ، وأطرق برأسه ، وهو يفكر في
عمق ، ثم رفع عينيه إلى (نضال) ، وقال :
— ما رأيك ؟

ابتسم (نضال) في عاطفة ، وقال :

— إننى أتمنى أن تتجنب مصر النكسة يا صديقى .

هز (نور) رأسه في بطاء ، وغمغم :

— فليكن .. ما دام هذا رأى الجميع .

ثم صافح (نضال) في حرارة ، وهو يقول :

— الوداع يا صديقى .. سأفعل ما أراه الجميع ، ولكنى

مازلت أومن باستحالة تغيير التاريخ .

ابتسم (نضال) ، وهو يقول :

— سأستعيد كلمتك يا صديقى .. لا بد لنا من المحاولة .

وقفز (نور) داخل المقاتلة ، وأغلق أبوابها ، ولوّح بذراعه

لـ (نضال) ، ثم انطلق بالمقاتلة ، وراقبه رجال المقاومة في
دهشة وانبهار ، وغمغم أحدهم :
— يا لها من سرعة !!

خفض (نضال) عينيه ، وحاول كبت دموعه ، وهو يقول :

— فلندع الله أن يفلحوا في مهمتهم يا رجال .

ثم انحنى يلتقط مسدس (نور) ، الذى فرغت طاقته ،

وابتسم في حزن وهو يقول :

— وداعاً يا رجال المستقبل .. وداعاً .



١٤ — العودة إلى المستقبل ..

انعكست شمس صباح الخامس من يونيو ، عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، على المقاتلة (العاصفة ٧) ، التي ربضت ساكنة على رمال سيناء ، وبداخلها تعلقت أنظار فريق (نور) بالسما ، وغمغمت (سلوى) :

— سيدأ قتال الطائرات بعد لحظات ، طبقاً لما تقوله كتب التاريخ يا (نور) .

أوماً (نور) برأسه ، وغمغم :

— نعم .. ستطلق الطائرات الإسرائيلية فوق رؤوسنا بعد قليل .

قال (رمزي) في اهتمام :

— تذكّر حُطّتنا يا (نور) .. سنترك الطائرات تتجاوزنا ،

ثم نطلق خلفها و ..

لوح (نور) بكفه ، وقال :

— نعم يا (رمزي) .. إنني أذكر كل شيء ، ولكنني أخشى

ما سنفعله .

تبادل أفراد الفريق النظرات ، ثم غمغم (رمزي) :

— لا بدّ أن نحاول يا (نور) .

غمغم (نور) :

— نعم .. لا بدّ .

ثم أشار إلى السماء ، وقال :

— لقد بدأ الهجوم الإسرائيلي .

رفع الجميع رؤوسهم إلى السماء ، وشاهدوا الطائرات

الإسرائيلية ، وهي تعبر السماء نحو قلب سيناء ، وأدار (نور)

محرك المقاتلة ، وهو يغمغم :

— سنبدأ محاولة تغيير التاريخ يا رفاق .

أمسك (رمزي) ذراع (نور) في قوّة ، وهو يهتف في انفعال :

— نعم .. فلنبدأ .

تأوّه (نور) في ألم ، فقد أمسك (رمزي) بجرح ذراعه

تماماً ، وتركت يده (نور) عصا القيادة ، وارتطمت أصابعه بزرّ

القيادة الآلية ، وانطلقت المقاتلة في رحلة العودة إلى المستقبل ،

وهتف (رمزي) في ألم :

— ربّاه .. لقد فقدنا فرصة تغيير التاريخ .

تحرك القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية في عصبية ،
وهو يسأل العالم العجوز :

— هل لك أن تشرح لي سر ثقتك في عودتهم ؟

هز العجوز كتفيه ، وغمغم في هدوء :

— إنهم فريق علمي .. أليس كذلك ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

— النتائج العلمية لا تُبنى على الافتراضات .

ابتسم العجوز ، وهو يقول في هدوء وثقة :

— ولكنهم سيعودون .

فتح القائد الأعلى شفّيته ليعترض ، ولكن أزيز جهاز التليفيديو
في مكتبه ، جعله يقفز إليه ، ويسأله في لهفة :

— هل من جديد ؟

تألقت عيناه ، وهو يستمع إلى محدّثه ، ثم هتف في سعادة :

— يالك من عبقرى أيها العجوز .. لقد عادت المقاتلة ،

وعاد (نور) وفريقه .

ثم اندفع يريّت على كتف العجوز في سعادة ، وهو يردّد :

— لقد عادوا .. لقد عادوا .

ابتسم العالم العجوز ، وهو يقول :

— ألم أقل لك ؟

أطلق القائد الأعلى ضحكة مرحة ، وكأنما ينفث عن قلق

الأيام الثلاثة الماضية ، وهتف :

— سيكون لك حقّ استقباهم معي أيها العجوز .. أنت

أحقّ الناس بذلك .

تألّقت عينا العجوز ، وهو يغمغم :

— إنني أنتظر هذا اللقاء في شغف يا سيدي .

صاح القائد الأعلى (نور) ورفاقه في حرارة ، وهتف في

حماس :

— أعتقد أن تقريرك هذه المرّة سيكون مذهلاً يا (نور) ..

فهذه هي المرّة الأولى ، التي يتجاوز فيها بشرّ سرعة الضوء .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— إنك لن تصدّق قصتي يا سيدي .

أتاه فجأة صوت العجوز يقول :

— أعتقد أنه من الخير للجميع أن تحتفظ بقصتك سرّاً أيها

الرائد .

التفت الجميع نحو العالم العجوز ، الذي يقف في ركن مظلم

من الحجرة ، وأشار إليه القائد الأعلى ، وهو يقول في انفعال :



ثم أخرج من جيبه مسدسًا ليزريًا قديمًا ، وتقدم في هدوء خارج البقعة المظلمة ..

— هذا هو العبقري ، الذي تنبأ بعودتكم ، ولست أدري كيف فعل ذلك ؟

ابتسم العجوز ، وهو يقول :

— لقد كنت أنتظر عودتهم في هفة أيها القائد .
ثم أخرج من جيبه مسدسًا ليزريًا قديمًا ، وتقدم في هدوء خارج البقعة المظلمة ، وترك ضوء الغرفة يغمر وجهه ، وشعره الأشيب ، وهو يتسم ، ويغمغم :

— أنتظره منذ سبعة وثلاثين عامًا .

اتسعت عيون (نور) وفريقه في ذهول ، في حين مدّ العالم العجوز يده بالمسدس الليزري القديم إلى (نور) ، وهو يقول :

— مسدسك أيها الرائد .. إنني أحفظ به في يوم وداعنا .

هتف القائد الأعلى في دهشة :

— هل يعرف أحدكم الآخر ؟

ابتسم (نور) في عاطفة مشبوبة ، ومدّ يده يصافح العجوز في حارة ، وهو يقول في انفعال :

— هل تقصد أنا والعالم الفيزيائي (نضال فايد) ؟ ..

بالطبع ياسيدي .. إن كلينا يعرف الآخر جيدًا .

اتسعت ابتسامة (نضال) ، الذي نال منه الزمن مناله ،

وغمغم في سعادة :

— نعم أيها القائد .. منذ سبعة وثلاثين عامًا بالنسبة لي ،
وأربعة أيام بالنسبة للرائد (نور) .

هتف القائد الأعلى ، وقد تضاعفت دهشته :

— ماذا يعني هذا اللغز ؟

ارتفع حاجبا (نور) في عاطفة ، وسالت دموع (سلوى)
في انفعال وفرح ، وابتسم (محمود) ابتسامة واسعة ، في حين
غمغم (رمزي) في هدوء :

— يعني أننا اجتزنا أول ثقب في التاريخ ، ياسيادة القائد

الأعلى .

ثم أردف في حزم :

— وآخر ثقب .

باسل

www.dvd4arab.com

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥